
ملف المستقبل
سري جدا !!
روايات مصرية للجيب
د. نبيل فاروق
الأحراش الفسفورية
136
www.liilas.com/vb3
^RAYAHEEN^
المؤسسة العربية الحديثة

الأحراش الفسفورية

- ماذا يمكن أن يصيب الفريق المصرى فى أعماق أحراش (إفريقيا) ؟!
- ما سر ذلك الكاهن الرهيب ، الذى يخشاه الكل خشيتهم للموت ؟!
- ترى ما مصير (نور) ورفاقه ، وهل يمكن أن تكتب لهم النجاة فى أعماق (الأحراش الفسفورية) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل بعقلك وكيانك مع (نور) وفريقه ..



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

136



ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ البعثة ..

كل شىء بدا هادئًا أكثر مما ينبغى ، فى ذلك الصباح ، فى مبنى المخابرات العلمية المصرية ..

العمل كان يدور فى نشاط جم ، فى كل طوابق المبنى الكبير ، فى جو من السرية التامة ، والكفاءة المدهشة ، لجمع سيل لاينقطع من المعلومات ، من كل أنحاء الأرض ، ومن بعض الأماكن فى الفضاء الخارجى أيضًا ..

وفى إدارة الأبحاث العلمية ، التابعة للجهاز ، كان فريق من أفضل علماء (مصر) منهمك بكل حواسه واهتمامه ، فى إعادة فحص بقعة صغيرة ، فى قلب (إفريقيا) ، عجزت كل وسائل الرصد التقليدية والمتطوّرة عن جلب أية معلومات واضحة عنها ، باستثناء تلك الظاهرة المدهشة ، التى تبطل عمل أى جهاز إليكترونى أو كهرومغنطيسى يدخل إلى نطاقها ..

أما هناك ، فى الطابق الثالث تحت الأرض ، حيث مكتب القائد الأعلى ، فقد كان من الواضح أن كل ذلك الهدوء فى الطوابق العليا متعمَّد ، لإخفاء ذلك النشاط المضاعف ، والتوتر الشديد ، فى غرفة العمليات الخاصة ، التى تم إنشاؤها على نحو عاجل هناك ..

ولأوّل مرة ، منذ فترة طويلة ، راح القائد الأعلى يتابع ويشرف بنفسه ، على كل ما يدور فى تلك الغرفة ، ويراجع شخصيًّا كل ما يصلها من بيانات ، عبر وسائل دقيقة للغاية ، وبالغة السرية إلى أقصى حد ..

وفى اهتمام بالغ ، اندفع نحوه الدكتور (جلال) ، قائلاً فى انفعال :

ـ البعثة وصلت إلى تلك الدولة الإفريقية .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يغمغم فى توتر :

ـ حقًّا ؟!

والتقط البرقية الشفرية القصيرة من يد الدكتور (جلال) ، وذهنه يسترجع فى سرعة البدايات المثيرة

لتلك العملية العجيبة ، التى تختلف عن كل ما واجهه (نور) وفريقه ، فى حياتهم كلها ، باستثناء فترة شيطانية رهيبة ، لايمكن أن يتخيَّل أحد إمكانية تكرار حدوثها ، بأى حال من الأحوال(*) ..

ومن يصدِّق أن كل هذا قد بدأ بحفل ..

حفل افتتاح قاعة بمتحف الآثار الجديد ، عند هضبة أهرامات الجيزة ..

الحفل الذى عُرضت فيه الآثار النادرة ، التى أحضرتها بعثة علمية فى (إفريقيا) ..

وكانت تلك الآثار مدهشة وعجيبة بحق ..

كانت مزيجًا من الآثار الفرعونية القديمة ، وآثار سحرة وكهنة (الفودو) ، بالإضافة إلى أشياء مذهلة ومخيفة ..

إلى أقصى حد ..

(*) راجع قصة (ابن الشيطان) .. المغامرة رقم ٧٢

ففى واقعة نادرة ، لامثيل لها عبر العلم والتاريخ، عثرت تلك البعثة على معبد فرعونى كامل ، وسط أحراش (إفريقيا) ..

معبد مازال يضمّ كهنته القدامى ، الذين امتزجت عندهم العقائد الفرعونية بعقيدة كهنة (الفودو) ، ذلك السحر الأسود الرهيب ، الذى نشأ فى (إفريقيا) ، وانتقل إلى أمريكا الجنوبية ، والشمالية معًا ..

ومن بين تلك الأشياء المذهلة جمجمة غير آدمية ، وإصبع واحد ..

إصبع الشيطان ..

أو هكذا يطلقون عليه ، فى تلك البقعة الغامضة ، المخيفة ، الرهيبة ، فى قلب (إفريقيا) ..

ثم فجأة ، وبينما الكل يحدق فى تلك المعروضات المخيفة ، بدأت الأحداث كلها دفعة واحدة ..

كاهن فرعونى رهيب ، يرتدى تلك الحلى العظمية لكهنة (الفودو) ، برز فجأة من العدم ، وراح يلتهم أرواح

علماء البعثة بأساليب سحرية رهيبة ، ملأت قلوب الكل رعبًا وهلعًا وارتياعًا وذعرًا ..

علماء البعثة قتلهم رعب هائل ، وانتزع قلوبهم فزع رهيب ، وضاعت حياتهم وسط أحداث كفيلة بتمزيق قلب أعتى الرجال وأشجعهم ، من فرط الفزع والذعر ..

ولأن (نور) وفريقه لم يمكنهم أبدًا إيجاد تفسير علمى ، أو دليل مادى واحد ، يمكنه تفسير مايحدث ، فقد اشتعل الفضول فى أعماقهم حتى النخاع ، وهم يقاتلون لحماية من تبقّى من علماء البعثة ، و ..

ولكن الكاهن انتصر فى النهاية ..

وفى الوقت ذاته ، كانت إدارة الأبحاث العلمية ، بكل طاقم علمائها وباحثيها ، تجاهد لمعرفة سر هذا الغموض المفزع الرهيب .

ولكن كل مايتوصلون إليه كان يزيد الأمر اشتعالاً ..

والنتائج التى توصل إليها الدكتور (حجازى) ، ونظيره البيطرى الدكتور (عبادة) ، كانت كافية لتأكيد أن الأمر يفوق كل إدراك بشرى ممكن ..

وخاصة مع تحليل عينة من مادة عجيبة ، حلت محل دماء آخر عالم لقى مصرعه ، من علماء البعثة ..

العينة التى حوت عدة عناصر ، لامثيل لأى منها على كوكب الأرض ..

وهنا ، تم اتخاذ أخطر قرار ، فى تاريخ المخابرات العلمية المصرية ..

قرار إرسال بعثة جديدة ، إلى تلك الدولة الإفريقية ، لمواجهة ذلك الغموض القاتل الرهيب وجهًا لوجه ، فى البقعة التى تعجز كل الأجهزة عن رصدها ..

ولكن البعثة الجديدة لم تكن بعثة علمية ، إلا من الناحية الرسمية والظاهرية فحسب .. فالواقع أنها كانت بعثة أمنية خاصة ، تضمّ فريق (نور) إلى جوار عدد من الخبراء ، وفريقًا من الانتحاريين ..

ولكن الخطر الحقيقى كان يكمن فى أن رئيس وزراء تلك الدولة الأجنبية ، ووزير خارجيتها ، ووزير داخليتها ،

كانوا يعلمون الكثير عن تلك المنطقة ، التى يطلق عليها المحليون هناك اسم (فو ـ كا) ، أو (أرض الأرواح الخالدة) ..

لايعلمون فحسب ، ولكن يخضعون لسيطرتها أيضًا بوسيلة ما ..

ولأنهم يعلمون حقيقة بعثة (نور) ، فقد علمها ذلك الكاهن الرهيب أيضًا ..

وعندما انطلقت البعثة الثانية إلى (أرض الأرواح الخالدة) ، كان فى انتظارها خصم عنيد ، لم ينهزم قط ، منذ بدء الخليقة ..

الموت(*) ..

وحتى القائد الأعلى نفسه ، على الرغم من كل مايصله من تقارير ومعلومات ، لم يكن يعلم شيئًا عن ذلك الجزء الأخير ، وهو يقول فى توتر :

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجز الأول (فودو) .. المغامرة رقم ١٣٥

- لقد استقبلوهم استقبالاً رسمياً حاراً هناك ، وعلى الرغم من هذا ، فلست أشعر بالارتياح أبدًا .

وافقه الدكتور (جلال) بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

- وأنا كذلك ، خاصة أن صور أقمارنا الصناعية تشير إلى أن رجال الأمن هناك قد قاموا بفحص الطوّافة ، التى أرسلناها مع البعثة ، للتأكد من أنها لا تحوى أجهزة تصوير أو مراقبة .

مطّ القائد الأعلى شفتيه ، قائلاً :

- إنهم يعلمون .

مرة أخرى وافقه الدكتور (جلال) بإيماءة ، قائلاً :

- بكل تأكيد ، فالعالم أجمع يعرف من هو (نور الدين) ، منذ انتصاره الساحق على الغزاة ، إبان احتلال الأرض(*) ، ووجوده على رأس البعثة ، يؤكد أن لها أغراضًا أخرى ، بخلاف البحث العلمى .

تنهّد القائد الأعلى ، قائلاً :

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم ٧٦

- هذا أمر طبيعى ، ولكننى أعتقد أن مهمة البعثة علمية محضة ، حتى وإن رأسها رجل مخابرات شهير مثل (نور) ، فالغرض الفعلى لها هو المعرفة .

ابتسم الدكتور (جلال) ، وهو يقول :

- المعرفة هى الهدف الرئيسى للعلم .. ولأعمال المخابرات أيضًا .

أشار القائد الأعلى بسبّابته ، قائلاً فى حزم :

- بالضبط .

ثم عاد حاجباه ينعقدان ، وهو يضيف :

- ولكن ما يقلقنى الآن هو أن فريقنا سينطلق وحده ، نحو ذلك الموت الكامن فى أحراش (إفريقيا) ، وأنه ما إن يتجه إليه ، حتى لا يعود بوسعنا الاتصال به ، أو حتى مد يد العون إليه ، مهما واجه من متاعب ومخاطر .

قال الدكتور (جلال) فى حماسة :

- لاتنس يا سيدى أن الفريق يضم المقدّم (نور) ،

و(أكرم)، مع أربعة من أقوى مقاتلينا .

تنهدّ القائد الأعلى مرة أخرى ، وهو يتطلع إليه ، قائلاً فى قلق شديد :

- بالتأكيد ، ولكن السؤال هو : هل يكفى هذا فى مواجهة ذلك الشىء ؟!

نعم .. هذا هو السؤال الحقيقى ..

هل يكفى هذا ؟!

هل ؟!

* * *

« كلا بالتأكيد .. » ..

نطقها وزير داخلية ذلك البلد الإفريقى بابتسامة زائفة كبيرة ، وهو يواجه (نور) وفريقه ، قبل أن يلوّح بيده ، مستطردًا :

- لن نتدخل فى عملكم على الإطلاق ، ولن نحاول حتى معرفة ما تسعون إليه .

وتسلل شىء من السخرية إلى لهجته ، وهو يضيف :

- أيًا كان .

رمقه (نور) بنظرة باردة صامتة ، وشعر (أكرم) بشىء من التوتر يسرى فى كيانه ، وبرغبة عارمة فى أن ينقضّ على الرجل ، ويلكمه فى أسنانه مباشرة ، ليمحو ابتسامته السخيفة ، فى حين بدا الدكتور (حجازى) هادئًا مبتسمًا ، وهو يقول :

- لن يزعجكم شىء مما سنفعله بإذن الله يا سيادة الوزير ، فهدف بعثتنا علمى بحت ، وكل ما نهدف إليه هو متابعة ما توصّل إليه الزملاء ، فى البعثة السابقة .

بدا صوت وزير الداخلية غامضًا ، وهو يقول :

- رحمهم الله .

بدت الدهشة على وجوه الجميع ، فيما عدا (نور) ، الذى قال فى حزم :

و (أكرم) ، مع أربعة من أقوى مقاتلينا .

تنهدَّ القائد الأعلى مرة أخرى ، وهو يتطلع إليه ، قائلاً فى قلق شديد :

ـ بالتأكيد ، ولكن السؤال هو : هل يكفى هذا فى مواجهة ذلك الشىء ؟!

نعم .. هذا هو السؤال الحقيقى ..

هل يكفى هذا ؟!

هل ؟!

* * *

« كلاً بالتأكيد .. » ..

نطقها وزير داخلية ذلك البلد الإفريقى بابتسامة زائفة كبيرة ، وهو يواجه (نور) وفريقه ، قبل أن يلوِّح بيده ، مستطردًا :

ـ لن نتدخَّل فى عملكم على الإطلاق ، ولن نحاول حتى معرفة ما تسعون إليه .

وتسلَّل شىء من السخرية إلى لهجته ، وهو يضيف :

ـ أيًّا كان .

رمقه (نور) بنظرة باردة صامتة ، وشعر (أكرم) بشىء من التوتر يسرى فى كيانه ، وبرغبة عارمة فى أن ينقضَّ على الرجل ، ويلكمه فى أسنانه مباشرة ، ليمحو ابتسامته السخيفة ، فى حين بدا الدكتور (حجازى) هادئًا مبتسمًا ، وهو يقول :

ـ لن يزعجكم شىء مما سنفعله بإذن الله ياسيادة الوزير ، فهدف بعثتنا علمى بحت ، وكل ما نهدف إليه هو متابعة ما توصَّل إليه الزملاء ، فى البعثة السابقة .

بدا صوت وزير الداخلية غامضًا ، وهو يقول :

ـ رحمهم الله .

بدت الدهشة على وجوه الجميع ، فيما عدا (نور) ، الذى قال فى حزم :

- من الواضح أن الأخبار تصل إليكم بسرعة يا سيادة الوزير .

مال الوزير إلى الأمام ، قائلاً فى صرامة :

- بأسرع مما تتصورُ أيها المقدّم .

قالها ، وتراجع فى مقعده الوثير على الفور ، متبعًا بلهجة متحدية ، ذات رنة ساخرة :

- وربما لاينطبق هذا عليكم هنا ، فمن المؤكد أنك لن تجد لدينا احتلالاً فضائيًا آخر ، يمكنك التغلُّب عليه ، وتحرير الأرض منه .

نهض (نور) ، وهو يبتسم ابتسامة باردة ، قائلاً :

- من يدرى يا سيادة الوزير ؟! من يدرى ؟!

انعقد حاجبا الوزير فى غضب مباغت ، ونهض يمد يده إلى (نور) ، قائلاً فى صرامة :

- مرحبًا بكم فى بلادنا أيها المقدّم .. ستجدون منا كل تعاون وترحيب ، ولكن عليكم أن تتذكّروا أمرًا واحدًا ، غير مسموح لكم بنسيانه قط ، تحت أية ظروف .

وتطلّع إلى عينى (نور) مباشرة ، وهو يضيف ، بكل حزم الدنيا :

- أنكم داخل حدودنا .. وتحت سيادتنا .

صافحه (نور) ، وهو يتطلّع بدوره إلى عينيه مباشرة ، قائلاً :

- لن ننسى هذا أبدًا .

لم يكن ذلك اللقاء الأوّل مريحًا بأى حال من الأحوال ، لذا فقد غادر الكل مكتب وزير الداخلية الإفريقى فى توتر شديد ، جعل الدكتور (عبادة) ، نقيب الأطباء البيطريين يقول فى عصبية :

- يبدو لى أنهم يبغضون وجودنا هنا أشدّ البغض .

وهتف خبير الآثار الدكتور (رمسيس) :

- إنهم يتمنون لو تلتهمنا أحراشهم ، فلانعود منها أبدًا .

تمتم (نور) :

- هذا صحيح .

قال (أكرم) فى حنق ، وهم يدلفون إلى الحافلة الخاصة ، التى منحتهم إياها السفارة المصرية :

ـ لماذا قبلوا وجودنا إذن ، ما داموا يبغضونه إلى هذا الحد ؟!

أجابه (نور) ، والسيارة تنطلق بهم :

ـ التعقيدات الدبلوماسية .

أشار (رمزى) بسبابته ، قائلاً :

ـ هذا الرجل يعرف حقيقة الأمر .. أراهن على هذا بسمعتى كخبير نفسى .

غمغمت (سلوى) :

ـ الأمر لا يحتاج إلى خبير نفسى ، لإدراك هذا .

أشار إليهم (نور) بيده ، يدعوهم إلى الصمت ، وهو يقول فى حزم :

ـ من قبل أن نأتى إلى هنا ، ونحن نتوقع بعض المصاعب والعقبات ، من بعض المسئولين هنا ، الذين

تتعارض مصالحهم مع كشفنا لتلك المنطقة ، التى يطلق عليها المحليون اسم (فو ـ كا) ، أو (أرض الأرواح الخالدة) ، لذا فأفضل ما نفعله ، حتى نتفادى الكثير من المتاعب ، هو أن نبدأ بعثتنا الاستكشافية فورًا .

قالت (نشوى) بدهشة مستنكرة :

ـ فورًا ؟! ألن نقضى ليلة واحدة فى الفندق على الأقل ؟!

أجابها فى حزم :

ـ ولا ساعة واحدة .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف بحزم أكثر :

ـ منذ هبطنا هنا ، وقائد الطوافة لديه أمر بالاستعداد للإقلاع ، فور تلقيه إشارة منى ، ولولا أن القواعد تحتم ضرورة لقاء المسئولين هنا ، قبل أن نبدأ عملنا ، لما أضعنا لحظة واحدة .

غمغم الدكتور (رمسيس) فى قلق :

- وما الذى يمكن أن يفعلوه بنا ، لو انتظرنا بضع ساعات ، للحصول على قدر من النوم والراحة ؟!

أجابه (نور) فى حزم صارم :

- الكثير .

ثم رفع يده ، وضغط زرًا فى ساعته ، مضيفًا ، وهو يدير عينيه فى وجوههم جميعًا :

- لذا فسنقلع فورًا .

وفى مطار تلك الدولة ، تلقّى قائد الطوّافة إشارة (نور) ، فهبّ من رقاده فورًا ، وشدّ قامته فى اعتداد ، قائلاً :

- على بركة الله .

كان واحدًا من الطيارين القلائل ، الذين يحملون وسام الشجاعة ، قبل أن يتجاوزوا الخامسة والثلاثين من العمر ، وكان يدرك جيدًا طبيعة مهمته ، وما تنطوى عليه من صعوبة وخطورة ، وعلى الرغم من هذا فقد تحرك بنشاط وحماسة ، وهو يرتدى زى القيادة ،

ويدس مسدسًا ليزريًا فى حزامه ، ثم يلتقط حقيبته الصغيرة ، و ...

وفجأة ، انتفض جسده كله فى عنف ..

فأمامه مباشرة ، وعلى مسافة متر واحد منه ، انشقّ الجدار ، دون أدنى صوت ، وانبعث منه لسان من اللهب ، كاد يمس وجهه ، مما جعله يتراجع بقفزة خلفية غريزية ..

وفجأة أيضًا ، تحوّل لسان اللهب إلى رجل ..

إلى كاهن أصلع ، يرتدى زيًا فرعونيًا قديمًا ، ويتحلّى بقطع من العظام البشرية ، كما يفعل سحرة (الفودو) ..

واتسعت عينا الطيّار عن آخرهما ، وهو يحدّق فى عينى الكاهن الرهيبتين ، اللتين بدتا كما لو أنهما جمرتين من الجحيم ، تغوصان فى أعماق كيانه ..

وأراد الطيّار أن يسحب مسدسه الليزرى ..

أن يقاوم ..

أو حتى يصرخ ..

ولكن الكاهن لم يتحرك من مكانه قيد أنملة ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد شلّت نظراته الرهيبة الطيّار تماما ، وإرادته تغوص فى كل ذرة من كيانه ..

وتغوص .. وتغوص ..

حتى النخاع ..

أو أكثر عمقًا ..

* * *

لم يكد وزير داخلية الدولة الإفريقية يدخل مكتب رئيس الوزراء ، حتى نهض هذا الأخير من خلف مكتبه ، يسأله فى لهفة :

ـ هل رحلوا ؟!

أشار الوزير بيده مجيبًا فى صرامة ، لا تتفق مع أصول اللياقة ، فى تعامله مع رئيسه :

ـ إنهم فى طريقهم إلى هذا .

اتسعت عينا رئيس الوزراء فى شىء من الارتياع ، قبل أن يعود إلى مقعده ، وجسده كله ينتفض فى انفعال عجيب ، مغمغمًا :

ـ كان ينبغى ألا نسمح بقيام البعثة الأولى أبدًا .

مطّ الوزير شفتيه ، قائلاً فى توتر :

ـ لم نكن نتصوّر قط أنهم سيصلون إلى هناك .. لم ينجح مخلوق واحد فى هذا قبلهم قط .

كرّر رئيس الوزراء ، فى لهجة أقرب إلى الانهيار :

ـ كان ينبغى ألا نسمح بقيامها قط .

انعقد حاجبا الوزير ، وهو يقول فى توتر شديد :

ـ كان الأجدى أن نمنع قيام البعثة الثانية .

لوّح رئيس الوزراء بذراعه ، هاتفًا :

- ليت هذا باستطاعتنا .

التقط الوزير نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

- لقد فعلنا ما بوسعنا .

مال رئيس الوزراء نحوه ، قائلاً فى توتر شديد :

- الأمر أخطر كثيرًا هذه المرة ، فهم يعرفون إلى أين يذهبون بالضبط .

بدا صوت الوزير حازمًا أكثر مما ينبغى أو يليق ، وهو يقول :

- هو أيضًا يعرف أنهم قادمون إليه .

ثم تألقت عيناه على نحو عجيب ، مع استطرادته :

- ويعرف كيف يتعامل معهم .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى انفعال :

- فى مملكته .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان الطيّار

يحلّق بالطوّافة ، التى تحمل (نور) وفريقه ، وطاقم الخبراء ، والانتحاريين ، وكل المعدات الخاصة بالرحلة ، و(نور) يقول له فى حزم :

- حاول أن تهبط بنا فى أقرب نقطة ممكنة من الهدف .

أومأ الطيّار برأسه إيجابًا ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وانطلق بالطوّافة نحو منطقة الأحراش ، فغمغم الدكتور (عبادة) بصوت مرتجف :

- هل بدأت البعثة بالفعل ؟!

أجابه (نور) :

- بالتأكيد .

انفرجت شفتاه ليقول شيئًا ما ، ثم لم يلبث أن تراجع ، فأطبقهما ، واستند بظهره إلى مقعده فى قوة ، وكأنما يحاول التيقن من أنه داخل طوّافة آمنة ، فى حين تمتم الدكتور (رمسيس) ، فى لهفة عجيبة :

- لست أحتمل الانتظار ، لرؤية ذلك المعبد ، الذى يتحدثون عنه .

أمسك (أكرم) مقبض مسدسه بحركة غريزية ، وهو يتمتم :

- هذا لو وصلنا إليه أحياء .

صاحت به (مشيرة) فى عصبية :

- هل تحاول إحباطنا أم ماذا ؟!

أشاح بوجهه ، مغمغمًا فى توتر :

- لست أحاول شيئًا .

نقلت (سلوى) بصرها بينهما ، قبل أن تقول :

- إنها بعثة علمية ، تمامًا كأية مهمة قمنا بها من قبل .

غمغمت (نشوى) مرتجفة :

- هل تعتقدين هذا ؟!

ربّت (رمزى) على كتف زوجته فى حنان ، قائلاً :

- الأعصاب كلها مشدودة ؛ لأن الرحلة فى بدايتها ، والأمور لم تتضح بعد ، ولكننى واثق من أنه ما إن نصبح فى قلب الأحداث ، حتى ننسى كل هذا ، ونغوص فى مهمتنا حتى النخاع كالمعتاد .

ابتسم الدكتور (حجازى) ، ولوّح بيده ، وهو يقول فى هدوء :

- هذا ما يحدث لى دومًا ، كلما بدأت فحص حالة جديدة .

تبادل المقاتلون الأربعة نظرة صامتة ، وراح كل منهم يتشاغل بفحص سلاحه ومعداته ، فى حين قال (نور) فى حزم ، وهو يدير عينيه فى وجوه الجميع :

- أتفق مع (رمزى) فى أن الأعصاب كلها مشدودة ، ولكن هذا أمر طبيعى فى مهمتنا هذه ، فنحن ذاهبون لمواجهة خطر مبهم عجيب ، يبعث فى النفس كل مايمكن أن ينبت من مخاوف ، فى مواجهة المجهول ..

أى مجهول .. وفى حالتنا هذه بالذات ، نواجه مجهولاً

شاهدنا الأهوال التى يصنعها بالفعل .. شاهدناه يقوم بأعمال وأفعال شيطانية رهيبـة ، كـان مـن جرائهـا ، مصرع ثلاثة من العلماء ، بأساليب لايجد العلم المعروف تفسيراً واحدًا لها ..

سألته (مشيرة) بغتة :

ـ هل كنت جادًا فى افتراضك يا (نور) ؟!

سألها فى حذر :

أى افتراض ؟!

قالت بصوت منفعل :

ـ افتراض أن يكون ذلـك الكـاهن ، بكل مـا يفعلـه من خوارق ، مخلوقًا من عالم آخر ؟

هتف فى دهشة :

ـ أنا افترضت هذا ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) فى سرعة :

ـ إنها تقصد كلمتك لوزير الداخلية ، عندما أشار إلى احتلال من عالم آخر ، فقلت أنت : (ربما) .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

ـ إنه مجردُ قول ، رددت بـه على أسلوبه الفظ فحسب .

قالت (سلوى) فى توتر :

ـ أعتقد أنه احتمال وارد يا (نـور) ، على الرغم من غرابته ؛ فهو يفسِّر على الأقل أمر تلك الجمجمة غير البشرية ، وإصبع الشيطان ، الذى أكَّد الدكتور (حجازى) أنه من المستحيل أن ينتمى إلى أى كائن معروف على وجه الأرض .

تنهَّد (نور) ، وهزَّ رأسه ، قائلاً :

ـ ليس لدينا ما يؤكِّده أو ينفيه ، ولكن بعض المعطيات الأخرى تتعارض مع فكرة القادم مـن عالم آخر هذه ، وعلـى رأسـها وجوده المزعوم منذ آلاف السنين ، كما يروى السكان المحليون هناك .

قال الدكتور (رمسيس) فى سرعة واهتمام :

ـ لم نتأكد من هذا بعد .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ لم نتأكد من أى شىء بعد .

كادت (نشوى) تقول شيئًا ما ، إلا أنها عقدت حاجبيها ، واشرأبت بعنقها ، لتلقى نظرة عبر النافذة ، من فوق كتف (نور) مغمغمة فى قلق :

ـ عجبًا !

سألها (نور) فى اهتمام :

ـ ماذا هناك ؟!

لوّحت بيدها ، وكأنها لاتجد ماتقول ، ثم لم تلبث أن اندفعت قائلة فى توتر ملحوظ :

ـ وفقًا للخرائط ، كان ينبغى أن ننطلق نحو الجنوب الغربى ، ولكن موقع الشمس يوحى بأننا نتجه نحو الجنوب الشرقى .

انعقد حاجبا (نور) ، مع ملاحظتها المهمة ، فى حين هتف الدكتور (عبادة) ، فى شىء من الذعر :

ـ أأنت واثقة ؟!

ودون أن تجيب ، استدار (نور) إلى الطيّار ، وسأله فى صرامة :

ـ إلى أين تتجه بالضبط ؟!

لم يبد على الطيّار أنه قد سمع حرفًا واحدًا مما قاله (نور) ، وهو يرتفع بالطوّافة أكثر ، ويميل بها نحو الشرق ، فصاح به (نور) فى حدة :

ـ ألى أين تذهب بالضبط يا رجل ؟!

مرة أخرى ، تجاهله الطيّار تمامًا ، وهو يواصل الانحراف نحو الشرق ، فسحب (نور) مسدسه بحركة حادة ، وهو يقول فى صرامة شديدة :

ـ أريد جوابًا صريحًا ومباشرًا ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، اتسعت عيون الجميع فى ذهول

مذعور ، وهم يحدقون فـي قـائد الطوّافـة ، وقلوبهم تعزف سيمفونية رعب هائلة ..

فما رأته عيونهم ، على مسـافة سنتيمترات منهم كان رهيبًا ومذهلاً ..

إلى أقصى حد ممكن .

* * *



٢ ـ وبدأت المواجهة ..

أمام العيون الذاهلة ، داخل الطوّافة الكبيرة ، تموّج جسد الطيّار ، كمـا لو أنه صـورة تهتزّ على شاشة عرض سيئة ..

ثم فجأة ، انقسم إلى قسمين ..

أو جسدين ..

فعلى نحو رهيب ، خرج جسد آخر ، من جسد الطيّار ..

جسد ذلك الكاهن الرهيب ..

خرج منه ، وكأنمـا يشق طريقه عبر قطعة من الزبد ، ليقف أمام الجميع صامتًا ، وعيناه المخيفتان تتألقان بذلكَ البريق الشيطانى المرعب ..

أما جسد الطيّار ، فلم يكد الكاهن يخرج منـه ، حتى

انهار دفعة واحدة ، وسقط رأسه على صدره ، وقد اتسعت عيناه ، وتدلّى لسانه خارج فكيه ، وشحب وجهه معلنًا موته منذ فترة من الزمن ..

ولثانية أو اثنتين ، حدّق الكل فى ذلك الكاهن الرهيب ، الذى يقف على مسافة سنتيمترات قليلة منهم ، ثم سحب (نور) و(أكرم) مسدسيهما فى آن واحد ، والأخير يهتف :

أيها الوغد .

انطلقت أشعة مسدس (نور) ، مع رصاصة مسدس (أكرم) ، فى اللحظة ذاتها ، التى مال فيها جسد الكاهن إلى اليسار ، بزاوية مستحيلة منطقيًا وتشريحيًا ، فتجاوزته الطلقتان ، واخترقتا جدار الطوّافة ، فى حين هبّ المقاتلون الأربعة بأسلحتهم ، و ...

وفى تحوّل آخر ، أكثر عجبًا ، ووسط صرخات (سلوى) و(نشوى) ، وشهقات الرعب التى أطلقها الدكتور (رمسيس) والدكتور (عبادة) ، ونظرات الذهول

على وجوه الباقين ، بدا وكأن جسد الكاهن قد تحوّل ، فى جزء من الثانية ، إلى سحابة من الدخان ، وثبت على نحو عجيب نحو أحد ثقبى جدار الطوّافة ، وعبرته كما لو أن شفطًا قويًا يسحبها من الخارج ، قبل أن تتحوّل خارج الطوّافة إلى شكل هلامى متموّج لذلك الكاهن الرهيب ، انطلق إلى أسفل ليختفى عن أنظارهم تمامًا ..

وفى نفس اللحظة ، بدأت الطوّافة سقوطها ..

مع مصرع قائدها ، وفقدان السيطرة التام على أجهزتها ، مالت على نحو مخيف ، وراحت تهوى بسرعة كبيرة ، نحو قمم الأشجار الضخمة ..

ومرة أخرى ، تعالت صرخات وشهقات الرعب داخل الطوّافة ..

وبسرعة مدهشة ، حلّ (نور) حزام مقعده ، واندفع بكيانه كله نحو مقعد القيادة فى محاولة أخيرة لإنقاذ الموقف كله ..

وكرد فعل غريزى ، حلّ (أكرم) بدوره حزام مقعده ،



بدا وكأن جسد الكاهن قد تحوّل ، فى جزء من الثانية ، إلى سحابة من الدخان ، وثبت على نحو أحد ثقبى جدار الطوّافة .

واندفع لمعاونة (نور) ، وراح المقاتلون الأربعة يحلون أحزمة مقاعدهم بدورهم ، فهتف بهم (نور) ، فى عصبية صارمة :

ـ الزموا مقاعدكم .. ستفقد الطوّافة توازنها أكثر ، لو زاد الثقل فى بقعة واحدة .

لزم المقاتلون الأربعة مقاعدهم مرغمين ، والتوتر يسرى فى أجسادهم ، فى حين راح (نور) و(أكرم) يعملان بسرعة الصاروخ ، فى محاولة يائسة للسيطرة على الموقف ، والطوّافة تهوى ..

وتهوى ..

وتهوى ..

(أكرم) حلّ أحزمة مقعد الطيّار القتيل ، وجذبه بعيدًا بكل قوته ، وهو يهتف فى (نور) بعصبية زائدة :

ـ أسرع يا (نور) .. أسرع بالله عليك .

صرخت (نشوى) مرة أخرى فى رعب ، وقد بدا لها

أن قمم الأشجار الكثيفة تقترب بسرعة مذهلة ، فى حين احتبست صرخة (سلوى) فى حلقها ، واتسعت عيناها عن آخرهما ، من فرط الرعب ، وتشبث الباقون بمقاعدهم فى قوة مبعثها الذعر والانفعال ، والكل يتوقع الاصطدام فى أية لحظة ..

وبأقصى سرعة ممكنة ، ألقى (نور) نفسه على مقعد القيادة ، ودون أن يربط أحزمة المقعد ، أمسك عصا القيادة ، وضغط الدواسة السفلية فى قوة ، وهو يدير العصا ، فى محاولة لإعادة التوازن إلى الطوافة ، التى تواصل سقوطها المخيف بسرعة كبيرة ..

كانت مائلة على جانبها الأيسر ، ومروحتها العلوية تدور بسرعة مخيفة ، وتقترب من قمم الأشجار الكثيفة ، فى منطقة الأحراش ، ولكن جذبة (نور) لعصا القيادة جعلتها تعتدل قليلاً ، وترتفع عن الأشجار لمترين أو ثلاثة ، ثم تدور إلى اليمين ، قبل أن ترتفع مرة أخرى بحركة حادة ..

تلك المناورة بدت شديدة العنف ، بالنسبة لركاب الطوافة ، حتى إن كلاً منهم قد شعر بآلام انقباضية فى معدته ، فى نفس اللحظة التى ارتطم فيها (أكرم) بجدار الطوافة ، صائحًا :

ـ رويدك يا (نور) .

ولم يبال (نور) بكل ما يحدث عنه ..

أثناء تجاهلنا الصراخ ، والشهقات ، وعبارات الفزع ، وآهات الألم ، وهو يضع تركيزه كله فى أجهزة قيادة الطوافة ، التى لم تستعد توازنها الكامل بعد وهى ترتفع ، وتميل إلى الجنوب ، و ..

وفجأة ، انبعثت تلك القرقعة المخيفة ..

قرقعة عالية ، قوية ، عنيفة ، أتت من أعلى ، وارتجّ معها جسم الطوافة كله بمنتهى العنف ، قبل أن تصرخ (سلوى) ، بكل رعب الدنيا :

ـ المروحة ..

ومع صرختها ، وأمام عيون الجميع ، طارت المروحة

الرئيسية للطوّافة بعيدًا ، منفصلة عن جسمها ، وراحت ترتطم بقمم الأشجار فى عنف ..

ثم هوت الطوّافة نفسها كقطعة من الصخر ..

وعلى الرغم من هول الموقف ، لم تنطلق داخل الطوّافة صرخة واحدة ..

أو حتى شهقة ..

لقد تجمّدت كل المشاعر فى العيون ، والحلوق ، والأفئدة ، و ...

وحدث الارتطام ..

بعنف ..

* * *

« طوّافة (نور) وفريقه سقطت .. »

هتف الدكتور (جلال) بالعبارة فى اضطراب شديد ، وهو يندفع إلى مكتب القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، فهبّ الأخير من خلف مكتبه ، هاتفًا فى هلع :

ـ سقطت ؟!

لهث الدكتور (جلال) فى انفعال شديد ، وهو يقول :

ـ أقمارنا الصناعية سجلت الرحلة منذ بدايتها ، وسجلت انحرافًا ملحوظًا فى مسارها ، أقلق كل خبرائنا ، الذين يتابعون الموقف لحظة فلحظة ، ثم فجأة ، فقدت الطوّافة توازنها ، وراحت تهوى من حالق ، فى نفس اللحظة التى انبعثت منها سحابة عجيبة من الدخان ، اتخذت مسارًا سفليًا عجيبًا ، على عكس ما ينبغى علميًا ، واختفت وسط الأحراش ..

امتقع وجه القائد الأعلى ، وهو يتمتم :

ـ إنه هو .

هتف الدكتور (جلال) :

ـ هو أو أى شىء آخر .. ليس هذا ما يهمّ الآن ، فلقد حاول أحدهم استعادة السيطرة على الطوّافة ، إلا أن محاولته لم تفلح تمامًا ، خاصة وأن المروحة العلوية لها قد انفصلت فى عنف ، فهوت الطوّافة وسط

الأحراش ، واختفت هناك تمامًا ، ولم يعد باستطاعة وسائلنا رصدها ..

تراجع القائد الأعلى ، حتى سقط على مقعده ، وهو يردد :

- إنه هو .. هو .. كان فى انتظارهم منذ البداية .

أشار الدكتور (جلال) بسبابته ، قائلاً فى انفعال :

- هناك فريق من أفضل خبراء الرصد ، يدرس كل لقطة صورتها أقمارنا الصناعية ، لتحديد ما حدث بالضبط ، ولإيجاد تفسير لتلك الظاهرة الخارقة أيضًا .

حدق القائد الأعلى فى وجهه لحظة ، قبل أن يسأله فى قلق عارم :

- أية ظاهرة خارقة ؟!

لوح الدكتور (جلال) بيده ، وهو يجيب بكل توتره :

- تلك البقعة غير القابلة للرصد .. لقد .. لقد اتسعت .

غمغم القائد الأعلى فى ذهول مذعور :

- اتسعت ؟!

أومأ الدكتور (جلال) برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى انفعال :

- نعم .. اتسعت ، وفور سقوط الطوافة .. لقد اتسعت لتحيط بالبقعة التى سقطت فيها الطوافة .

وارتجف صوته ، وهو يضيف :

- إنه يحتويهم داخل دائرة نفوذه .

واتسعت عينا القائد الأعلى مرة أخرى ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

فمن الواضح أن المواجهة قد بدأت فعليًا ..

وبمنتهى العنف ..

وأن ذلك الكاهن الغامض الرهيب قد قرر أن يربح المعركة كلها بضربة قاضية مباشرة ..

ومن الجولة الأولى ..

* * *

من الطبيعى أن يؤدى سقوط طوافة كبيرة كهذه ، من ارتفاع كهذا ، إلى مصرع كل ركابها بلا استثناء ..

ولكن طبيعة المنطقة ساعدت على تغيير النتائج ، على نحو مدهش ..

فالطوافة قد ارتطمت أولاً بمجموعة من الأغصان والأوراق العريضة الكثيفة ، المتشابكة ، على نحو خفف من الاصطدام الأول إلى درجة كبيرة ..

وعندما بدأت سقوطها ، وسط أكوام الأشجار ، راحت تحتك بالجذوع فى عنف ، وترتطم بكل ما يقابلها من أغصان وأفرع كبيرة ..

كل هذا خفف من عنف السقوط أكثر وأكثر ..

حتى ارتطم جسمها بأرض المنطقة ..

ومن حسن الحظ أنها لم تكن أرضًا صخرية صلبة ، وإنما كانت طبقة سميكة من الطمى ، والأغصان الذابلة ، والأوراق العريضة المتساقطة على مر السنين ..

لذا فقد كان الارتطام محتملاً إلى حد كبير ..

أو على الأقل ، لم يكن قاتلاً ..

وعلى الرغم من الجرح الدامى فى جبهته ، والآلام المبرحة ، التى يشعر بها فى كتفيه وظهره ، راح (نور) يتحرك فى سرعة ولهفة وقلق ؛ لرصد نتائج السقوط ..

ودون أن ينبس ببنت شفة ، شاركه (أكرم) مهمته ، وهو يعضّ شفته السفلى فى قوة ، وكأنما يكتم آلامًا رهيبة ، تعربد فى جسده بلا رحمة ..

(رمزى) أيضًا انضمّ إليهما والدماء تغرق الذراع اليسرى لقميصه ..

كانت (مشيرة) فاقدة الوعى ، دون أية إصابات ظاهرة ، وكذلك (نشوى) ، أما (سلوى) فقد راحت تبكى بحرقة ، هاتفة :

ـ ساقى يا (نور) .. ساقى تؤلمنى بشدة .. لقد كُسِرَتْ حتمًا .

أسرع (نور) يفحص ساقها ، فى نفس اللحظة التى هتف فيها (أكرم) فى حنق :

- رباه ! لقد فقدنا أحد المقاتلين .. السقطة دقّت عنقه دقًا .

كان المقاتلون الثلاثة الآخرون يتحركون بأسلحتهم وعتادهم فى عصبية ، متحفزين لمواجهة أى خطر ، فى منطقة السقوط ..

أما الدكتور (حجازى) ، فقد ظلّ راقدًا على ظهره ، فى محاولة لالتقاط أنفاسه ، والسيطرة على أعصابه المتوترة بشدة ، وإلى جواره جلس الدكتور (عبادة) ، يهتف فى ألم مذعور :

- رأسى مصاب .. الدماء تغرق وجهى .. النجدة .. فليسعفنى أحدكم .

أسرع إليه (رمزى) بحقيبة الإسعافات الأوّلية ، هاتفًا :

- أنا قادم .

حاول الدكتور (رمسيس) أن يعتدل من سقطته ، ولكن ساقه أطلقت صرخة ألم رهيبة من بين شفتيه ، وهو يصيح :

- آه .. الألم لا يطاق .

هتف به (رمزى) ، وهو يضمد جرح رأس الدكتور (عبادة) :

- لاتتحرك يادكتور (رمسيس) .. سأنتهى من عملى ، وأهرع إليك فورًا .

فى اللحظة نفسها ، كان (نور) يقول لزوجته فى توتر :

- ليس كسرًا .. إنها كدمة بسيطة فحسب .

لهثت متمتمة :

- حمدًا لله .. حمدًا لله .

قال أحد المقاتلين فى عصبية ، وهو يتلفّت حوله :

- بداية غير مشجِّعة .. لقد فقدنا أحد زملائنا ، وسقطت بنا الطوّافة بعيدًا عن الهدف ، ولم تعد لدينا وسيلة للعودة .

قال آخر فى توتر ، وهو يتلفّت حوله بدوره ، مسترجعًا تلك الأحداث الرهيبة فى الطوّافة :

- أمازلت تثق بأننا سنعود .

اعتدل (نور) ، هاتفًا فى صرامة :

ـ كفى .

ثم شدّ قامته ، مستطردًا فى اعتداد :

ـ على عكسكما تمامًا ، يلوح لى أننا محظوظون .

اعتدل الدكتور (حجازى) ، هاتفًا بدهشة مستنكرة :

ـ محظوظون ؟!

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ بالتأكيد .. كان من الممكن أن تقتلنا السقطة جميعًا .

تأوّهت (سلوى) ألمًا ، وهى تحتوى ابنتها بين ذراعيها فى حنان ، قائلة :

ـ الواقع أننى أتساءل يا (نور) ، بعد ما حدث فى الطوّافة ، أيهما أكثر حظًا .. أن تقتلنا السقطة ، أم يقتلنا شر نجهل كل شىء عنه ؟!

أجابها فى حزم :

ـ الله (سبحانه وتعالى) يفعل دومًا الأصلح لعباده .

لم يعترض أحدهم على عبارته ، وانهمك المقاتلون الثلاثة مع (أكرم) فى دفن زميلهم الصريع ، فى حين راح (رمزى) يحيط ساق الدكتور (رمسيس) المكسورة بدعامة بدائية وبعض الشاش والقطن ، فى حين تمتم الدكتور (حجازى) :

ـ من الواضح أن الصراع قد بدأ منذ اللحظة الأولى يا (نور) .

غمغم (نور) ، وهو يدير عينيه فيما حوله فى حذر :

ـ وبمنتهى العنف .

استعادت (مشيرة) وعيها فى تلك اللحظة ، فانتفض جسدها فى عنف ، وهتفت مذعورة مرتاعة :

ـ ماذا حدث ؟! أين نحن ؟! هل .. هل لقينا مصرعنا ؟!

أسرع إليها زوجها (أكرم) ، يحتويها بين ذراعيه ، ويربّت عليها مغمغمًا فى توتر ، لم يستطع كبحه :

— كلاً يا عزيزتى .. كلاً .. القدر انتخبنا لنواصل البقاء ، فى سجل الأحياء ..

حدّقت فى وجهه لحظة ، وكأنها لا تذكر حتى من هو ، ثم أدارت عينيها فيما حولها فى توتر ، قبل أن تهتف فى ذعر :

— المعدات .. أين معدات التصوير ؟! لابد من تسجيل هذه اللحظة .

تراجع محدقًا فيها بدهشة ، فقفزت من مكانها ، واندفعت نحو الصندوق ، الذى يحوى معدات التصوير ، هاتفة :

— آه .. ها هو ذا الصندوق .

هزّ (أكرم) رأسه فى قوة ، مغمغمًا فى سخط :

— يا للنساء !

ونهض يدير ظهره إليها ، قبل أن يضيف فى حنق :

ويا للسخافة !

استعادت (نشوى) وعيها فى تلك اللحظة ، فحدّقت فيما حولها ، ثم تطلّعت إلى أمها فى ذعر ، قبل أن تجهش بالبكاء بين ذراعيها ، فاحتوتها (سلوى) فى حنان ، وقبّلت رأسها لتهدئتها ، فى نفس الوقت الذى صرخت فيه (مشيرة) ، فى غضب عصبى :

— ماذا أصاب هذه الآلات ؟! كلها سليمة ، ولكنها لاتعمل قط !! ماذا أصابها ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، عندما سمع عبارتها ، وألقى نظرة سريعة على ساعته الإليكترونية ، قبل أن يلتفت إلى (سلوى) ، هاتفًا :

— افحصى معداتك .

ربّتت (سلوى) على كتف (نشوى) ، فمسحت هذه الأخيرة دموعها ، وقالت فى توتر وهى تنهض معها :

— سأفحص أجهزتى أيضًا .

التفت الدكتور (حجازى) إلى (نور) ، قائلاً فى قلق :

— ما الذى تخشاه بالضبط يا (نور) ؟!

لم يجب (نور) السؤال ، وهو يتطلّع فى اهتمام إلى (سلوى) و(نشوى) ، حتى قالت الأولى بدهشة بالغة :

- أجهزتى كلها لا تعمل .

وهتفت (نشوى) بدورها :

- وأجهزتى أيضًا .

اتسعت عينا (مشيرة) ، وهى تقول فى عصبية :

- هل تعطّلت كل الأجهزة دفعة واحدة ؟!

التفت الدكتور (حجازى) مرة أخرى إلى (نور) بحركة حادة ، فانعقد حاجبا هذا الأخير فى شدة ، وهو يقول فى حزم واضح التوتر :

- هذا ما كنت أخشاه يا دكتور (حجازى) .

ثم تلفّت حوله فى بطء ، مضيفًا :

- نحن فى منطقة نفوذه .

لثوان ، هبط على الكل صمت رهيب ، وكلهم يحدقون فى (نور) ، قبل أن تقطع (سلوى) هذا الصمت فى عصبية ، قائلة :

- مستحيل يا (نور) .. كلنا نعلم أن الطوّافة كانت تنحرف ناحية الشرق ، قبل أن تبدأ سقوطها ، وهذا يعنى أننا نبعد كيلومترين على الأقل ، عن الهدف الذى كنا ننشده .

أشار بسبابته ، قائلاً فى حزم واثق :

- لقد مدّ منطقة نفوذه إلى هنا .

هتف الدكتور (عبادة) فى عصبية ، وهو يتحسّس ضمادة رأسه :

- ليس باستطاعته هذا .

استدار إليه (نور) ، قائلاً :

- حقًا ؟!

امتقع وجه البيطرى ، وانكمش فى مكانه بخوف مبهم ، وهو يغمغم :

- ربما ..

لم يجد مايقوله ، وذهنه يستعيد كل ما فعله ذلك الكاهن من قبل ، من أمور خارقة للطبيعة ، والعقل ، والمنطق ، وحتى قواعد العلم ..

كل العلوم المعروفة ..

ومرة أخرى ، خيّم عليهم صمت مطبق ثقيل مهيب ، وهم يديرون عيونهم فيما حولهم ، متصورين أن ذلك الكاهن سيبرز فجأة ، من وسط الأحراش ، و ...

« هذا غير طبيعى .. » ..

قطع الدكتور (عبادة) الصمت هذه المرة ، وهو يهتف بتلك العبارة العصبية ، فاستدار إليه الجميع بحركة حادة مستنكرة ،وكأنما أفزعتهم عبارته ، فأكمل بنفس العصبية ، التى بدت واضحة فى ملامحه ، ونبراته ، وأسلوبه :

ـ هذه الأحراش صامتة ، على نحو يستحيل حدوثه فى الطبيعة .. فأى عالم بيولوجى يدرك أن الغابات والأحراش

لاتصمت قط(*)، هناك حتمًا صوت ما ، ينبعث من مكان ما .. أنثى حشرة فى موسم تزاوج .. زقزقة طائر ما .. أجنحة تضرب الهواء .. خرير ماء ، أو حتى حفيف أوراق أشجار ، يداعب بعضها البعض ، بفعل نسمات الهواء الهادئة .. وهذا لاينطبق قط على الأحراش التى تحيط بنا .. اصمتوا مرة أخرى ، وستدركون أن لاشىء يتحرك فيما حولنا .. حتى الأغصان والأوراق .

لاذوا بالصمت لدقيقة أو يزيد ، قبل أن تغمغم (نشوى) فى قلق :

ـ هذا صحيح .

وتساءل الدكتور (حجازى) فى توتر :

ـ ولكن ما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

هزّ الدكتور (عبادة) رأسه ووجهه الشاحب ، وهو يجيب فى خفوت قلق متوتر :

ـ لست أدرى .

(*) حقيقة ..

ثم استدرك فى توتر شديد :

- ولكنه يعنى أن هذه الأحراش غير طبيعية بالتأكيد .

عبارته الأخيرة غرست فى نفوسهم خوفًا مبهمًا غامضًا ، وقلقًا بلاحدود ، جعلهم يعودون للتطلُّع فيما حولهم فى توتر بالغ ، قطعه (نور) ، وهو يقول فى حسم :

- فليكن .. أيًا كانت الأمور ، وأيًا كانت طبيعة هذه الأحراش ، فنحن لم نأت إلى هنا لنجلس ونخاف ونرتجف .. لقد أتينا لمهمة محدودة ، وسنؤديها ، أيًا كانت العقبات أو المشكلات ..

ثم استدار إلى المقاتلين الثلاثة ، مستطردًا فى صرامة :

- استعدوا للتحرك فورًا .. سنستخدم الأدوات التقليدية الاحتياطية ، التى أحضرناها معنا ، وعلى رأسها

البوصلة(*) ، التى سنحدد بوساطتها اتجاهنا ، حتى نبلغ الهدف الأساسى .

تبادل الكل نظرات قلقة متوترة ، فيما عدا (أكرم) والمقاتلين الثلاثة ، الذين بدءوا فى تنفيذ أوامر (نور) على الفور ، وفى إخراج الأدوات التقليدية من الحقائب ..

وفى مرارة عصبية ، غمغم الدكتور (رمسيس) :

- أعتقد أن هذا لن يناسبنى أيها المقدّم .

قالها ، وهو يشير إلى ساقه المكسورة ، والدعامة البدائية التى تحيط بها ، فقال (نور) فى صرامة :

- لن نترك أحدًا خلفنا يادكتور (رمسيس) .. سنتناوب حملك طوال الطريق .

(*) البوصلة : جهاز عتيق ، يستخدم لتحديد الاتجاه ، وهى - فى أبسط صورها - عبارة عن إبرة مغنطيسية معلّقة تتحاذى مع المجال المغنطيسى المحيط بالكرة الأرضية ، أى أنها تشير إلى القطبين المغنطيسيين ، وهما لا ينطبقان على القطبين الجغرافيين .

هزّ الرجل رأسه فى عصبية ، قائلاً :

ـ خطأ أيها المقدّم .. خطأ .. قائد مثلك لاينبغى أن يتخذ قرارًا عاطفيًا كهذا .. إنكم تبدءون رحلة رهيبة ، لايعلم حدودها إلا الله (سبحانه وتعالى) ، و ...

قاطعه (نور) ، ليكمل فى صرامة :

ـ وأنت خبير الآثار الوحيد بيننا ، الذى يمكنه تحديد وحسم أمر ذلك المعبد المزدوج ، فى قلب الأحراش .

بدت دهشة حائرة على وجه الرجل ، فأضاف (نور) فى حزم :

ـ ليس قرارًا عاطفيًا إذن .. أليس كذلك ؟!

خفض الرجل عينيه ، مغمغمًا :

ـ كنت أتصوّر أن ..

لم يستطع إكمال عبارته ، فمطّ شفتيه ، اللتين ارتجفتا فى انفعال ، وخفض عينيه أكثر ، فربّت الدكتور (حجازى) على كتفه ، وقال بابتسامة باهتة :



قالها ، وهو يشير إلى ساقه المكسورة ، والدعامة البدائية التى تحيط بها ..

ـ من الواضح أنك لم تعمل مع (نور) من قبل .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى اندفع أحد المقاتلين الثلاثة نحو (نور) ، وهو يقول فى انفعال :

ـ أمر عجيب يحدث أيها القائد .

قالها وهو يرفع بوصلته أمام وجه (نور) ، فى توتر ملحوظ ..

وكرد فعل غريزى ، اندفع معظم الآخرين نحو (نور) ، وتطلّعوا إلى البوصلة بدورهم ..

واتسعت عيونهم عن آخرها فى دهشة بالغة ..

فإبرة البوصلة لم تكن تتجه نحو الشمال المغنطيسى كما ينبغى..

بل ولم تكن تتجه نحو أية بقعة ثابتة ..

لقد كانت تدور حول نفسها فى سرعة عجيبة ، وكأنما أصابها مسّ من الجنون ..

أو كأنها لم تعد قادرة على تحديد اتجاهها بعد ..

وكان هذا يعنى أن الدكتور (عبادة) كان دقيقًا للغاية ، فى كل حرف نطق به ..

هذه الأحراش ليست طبيعية ..

على الإطلاق .

* * *



٢ ـ الظلام ..

اتسعت خطوات الدكتور (جلال) وتسارعت ، وهو يقطع ذلك الممر الطويل ، الذى يقود إلى قاعة الأبحاث ، التى يفحصون فيها ما سجلته الأقمار الصناعية فى (إفريقيا) ..

وما إن دلف الدكتور (جلال) إلى القاعة ، حتى هتف به أحد العلماء ، فى انفعال ملحوظ :

ـ لن تصدق أبدًا ما رصدناه .

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) ، وهو يتخذ مكانه وسط فريق العلماء ، مغمغمًا :

ـ يبدو أننى قد اعتدت تصديق أشياء كثيرة ، فى الآونة الأخيرة ..

ضغط العالم أحد أزرار شاشة العرض ، قائلاً :

ـ حاول أن تصدق هذا أيضًا إذن .

تطلع الدكتور (جلال) ، فى اهتمام وانتباه شديدين إلى الشاشة ، التى عرضت صور سحابة الدخان ، وهى تخرج من ذلك الثقب فى جدار الطوافة ، ثم تهبط فى سرعة نحو الأحراش ..

وفى توتر ، أشار بيده ، قائلاً :

ـ هذا ما شاهدته فى أول مرة .

أجابه عالم آخر فى حماسة :

ـ بالتأكيد ، ولكننا الآن سنعيد عرض المشهد ، بسرعة منخفضة نسبيًا .

قالها ، وضغط زرًا آخر ، ليتم عرض المشهد ثانية فى بطء ..

وفى هذه المرة ، بدت سحابة الدخان أشبه بجسد آدمى مطاطى ، انزلق مضغوطًا عبر ثقب جدار الطوافة ، ثم عاد يتشكل خارجها ..

وفى عصبية ، تمتم الدكتور (جلال) :

ـ هذا ما كنت أتوقعه .

سأله العالم الأول ، فى لهفة عجيبة :

- وما الذى كنت تتوقعه .

أشار إلى سحابة الدخان على الشاشة ، مجيبًا فى عصبية أكثر :

- أن ذلك المخلوق يمتلك قدرات مذهلة ، تفوق قدرات أى بشرى آخر عرفه التاريخ .

ارتسمت ابتسامة على وجوه العلماء ، وهم يتبادلون نظرة صامتة لم ترق له ، فقال فى حدة :

- حسن .. ما الذى لم أنتبه إليه ؟!

قال عالم آخر :

- ربما تنتبه إليه ، إذا ما خفضنا سرعة العرض إلى أدنى حد ممكن .

قال فى عصبية زائدة :

- فليكن .

ضغط العالم الأول عدة أزرار ، قبل أن يتراجع على مقعده ، قائلاً فى حماسة :

- انتبه جيدًا هذه المرة .

ركز الدكتور (جلال) انتباهه كله على سحابة الدخان ، على شاشة العرض التى راحت تكبر المشهد ببطء شديد ، كما لو أنه يعرض لقطة بعد الأخرى ، على نحو مستفز ..

وبدا له وكأن العرض قد استغرق دهرًا كاملاً ، بدا فيه جسد ذلك الكاهن مرنًا إلى حد مذهل ، وهو يتزلق كسحابة دخان ، ويهبط نحو الأحراش مباشرة ، و ...

« عظيم .. مرونته تبدو أكثر وضوحًا بهذه السرعة المنخفضة .. »

نطق الدكتور (جلال) العبارة فى عصبية ، وهو ينهض من مقعده ؛ تمهيدًا للانصراف ، فهتف أحد العلماء بدهشة بالغة :

- مرونتـه ؟! ما الـذى كنت تتطلّع إليـه بالضبط يا دكتور (جلال) ؟!

أجابه فى حيرة حذرة :

- سحابة الدخان الآدمية بالطبع .

هتف رئيس الطاقم ، وهو يعيد المشهد إلى الخلف :

- كلّا يا رجل .. انظر إلى الأحراش نفسها .

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) فى دهشة متوترة ، وهو يتطلّع إلى الأحراش هذه المرة ، و ...

وفجأة ، انتفض جسده كله بمنتهى العنف ، واتسعت عيناه حتى كادتا تلتهمان وجهه كله ، وهو يدفع رأسه إلى الأمام فى ذهول ، حتى يكاد يخترق به شاشة العرض البلّورية ..

لقد كانوا على حق تمامًا فيما قالوه ..

المشهد لايمكن تصديقه ، بأى حال من الأحوال ..

حتى وأنت تراه بعينيك ..

لقد تمايلت قمم الأشجار العالية ، فى تلك الأحراش الكثيفة ، التى تهوى السحابة الآدمية نحوها ، وتراقصت أغصانها المتشابكة ، مع أوراقها الكبيرة العريضة ، وتضافر كل هذا ، ليرسم صورة شديدة الوضوح لوجه كبير ..

وجه بدا وكأنه يشمل منطقة الأحراش كلها ، ويتطلّع إلى المشاهد مباشرة بنظرة نارية مخيفة ، وهو يبتسم ابتسامة شيطانية ، التهمت تلك السحابة الآدمية كلها ..

وجه لا بد أن يبعث فى أعماقك رعبًا بلا حدود ..

وجه ذلك الكاهن ..

الرهيب ..

* * *

« مستحيل ! »

هتف القائد الأعلى بالكلمة فى ذهول ، وهو يحدّق

فى شاشة العرض ، التى نقلت إليه ذلك المشـهد الرهيب ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يتراجع فى مقعده فى بطء ، فأشار الدكتور (جلال) إلى الشاشة ، قائلاً فى انفعال :

ـ تحوّر طبيعى مذهل ، سجلته أقمارنا الصناعية لثانية واحدة ، وعلى نحو تستحيل معه نظرية المصادفة .

لوّح القائد الأعلى بذراعه ، وهو ينهض من مقعده بحركة حادة ، مكرّرًا :

ـ مستحيل ، وألف مستحيل !

ثم اتجه نحو الشاشة الكبيرة ، متابعًا فى توتر :

ـ لو قلنا وسلمنا باحتمال المصادفة ، فى أن تكوّن الأشجار والأغصان فيما بينها ما يشبه الوجه ، فمن المستحيل أن تمتدّ المصادفة إلى كون ذلك الوجه نسخة من وجه الكاهن ..

وهزّ رأسه فى قوة ، مضيفًا :

ـ لقد فعلها عامدًا متعمدًا .

تساءل الدكتور (جلال) فى حذر :

ـ هل تعنى أنه كان يعلم أننا سنرصدها ؟!

أشار القائد الأعلى بيده مرة أخرى ، مجيبًا فى حزم :

ـ دون أدنى شك .

ثم استطرد فى صرامة :

ـ الأمر الوحيد المؤكّد ، هو أن خصمنا ليس مجرّد شخص .. إنه قوى هائلة ، تفوق كل ما علمتنا إياه الطبيعة ، طوال قرون من العلم والحضارة .. قوى مجهولة ، فوق طبيعية ، تحكم ذلك الجزء من العالم ، الذى ظلّ مجهولاً أو محظورًا ، لسنوات لا يعلمها إلا الله (سبحانه وتعالى) .

ردّ الدكتور (جلال) ، وكأنما لم يسمع حرفًا مما قاله القائد الأعلى :

ـ إذن فقد كان يعلم أننا سنرصد هذا .

أجابه القائد الأعلى بكل الحزم :

ـ علينا أن نحدد أمرًا مهمًا أولاً ، فإما أنه يتحكم فى كل ما يحدث بقوة ما ، تفوق علومنا وإدراكنا ، أو أن تلك الأحراش حية ، ذات كيان مستقل ، ولكنها تخضع له فى الوقت ذاته .. أيهما تميل إلى هضمه أكثر ؟!

غمغم الدكتور (جلال) ، فى حذر متوتر :

ـ الاحتمال الأول بالطبع .

مال القائد الأعلى نحوه ، قائلاً فى صرامة :

ـ إذن فهو يعلم .

اتسعت عينا الدكتور (جلال) ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .

اعتدل القائد الأعلى ، متابعًا فى حزم :

ـ لقد فعلها ، قبل أن يمدّ نفوذه الكامل إلى المنطقة ، فتنقطع منها الاتصالات .. لقد فعلها ليبلغنا رسالة محدودة حاسمة ، قبل أن يسقط فريقنا بين فكيه .

سأله الدكتور (جلال) فى قلق شديد :

ـ أية رسالة ؟!

اعتدل القائد الأعلى ، وشدّ قامته ، وهو يتطلع إلى شاشة العرض مرة أخرى فى صمت ، قبل أن يجيب فى حزم حزين :

ـ إننا لن نربح المعركة ، ولن نستعيد فريقنا .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى عصبية :

ـ أبدًا .

واتسعت عينا الدكتور (جلال) فى ارتياع ..

فقد كان القائد الأعلى مصيبًا فى استنباطه ..

تمامًا ..

* * *

لدقيقة كاملة أو يزيد ، حدّق الكل فى إبرة البوصلة ، وهى تدور حول نفسها فى جنون ، قبل أن يغمغم الدكتور (عبادة) :

- ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

قالت (سلوى) فى توتر :

- يعنى أن هذه المنطقة لاتخضع للقواعد الجغرافية والمغنطيسية ، التى ينتمى إليها العالم الذى نعرفه .

تمتم الدكتور (حجازى) :

- لو أنها لاتنتمى للعالم الذى نعرفه .

أدار (نور) عينيه إليه بحركة حادة ، قائلاً :

- ماذا تعنى يادكتور (حجازى) ؟!

زفر الرجل ، ولوّح بذراعه ، قائلاً فى عصبية :

- مجرّد عبارة يا (نور) .. مجرّد عبارة .

قال (رمزى) فى توتر :

- ولكنها قد تعنى الكثير يا دكتور (حجازى) .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يقول :

- هل لى أن أفهم ما يعنيه كل هذا ؟!

هزّ (نور) رأسه ، قائلاً :

- لا أعتقد أن أحدًا يمكنه أن يفسّر لك شيئًا ياصديقى ، فالأمر مازال يتجاوز حدود إدراكنا بكثير .

قال أحد المقاتلين فى حزم :

- سيّدى القائد .. لست أظننا نحتاج إلى البوصلة ، لمعرفة طريقنا إلى الهدف .

سأله (نور) فى اهتمام :

- وكيف ؟!

أجابه المقاتل فى حماسة ، وهو يشير بيده :

- سنتتبع ما ترشدنا إليه الشمس أيها القائد .. سنحدّد موقع غروبها ، ومنه نضع جهاتنا الأصلية كلها ، ولأن الهدف يقع إلى الغرب منا بالضبط ، فسنتتبع الشمس طوال الوقت ، حتى نصل إليه .

هتف (نور) :

- بالضبط !

ثم رفع عينيه إلى فتحة بين الأشجار العالية ، تطلع منها إلى السماء المشرقة ، مستطردًا :

ـ سنتبع الشمس .

لم يكد يتم عبارته ، حتى خُيّل للجميع أن سحابة سوداء داكنة قد برزت فجأة ، وراحت تزحف فوق قمم الأشجار ، ثم تتسلل فيما بينها إلى الأعماق ، كما لو أنها قطعة من قلب الليل ، تحولت إلى سحابة سوداء هلامية ، جعلت الرعب يثب فى قلوب الجميع ، وصرخت (نشوى) :

ـ أبى .. ماذا يحدث ؟! ماذا يحدث ؟!

انعقد حاجبا (نور) بشدة ، وهو يبحث عن جواب لسؤالها ، ورفع (أكرم) والمقاتلون الثلاثة أسلحتهم بحركة غريزية ، فى حين اتسعت عينا (سلوى) فى رعب ، وارتجفت أجساد الدكتور (حجازى) والدكتور (عبادة) ، والدكتور (رمسيس) ، دون أن ينبس أحدهم ببنت شفة ، على عكس (رمزى) ، الذى هتف فى عصبية زائدة :

ـ أى ليل شيطانى هذا ؟!

كان الظلام ينسكب من بين الأشجار ، كحبر أسود داكن ، سقط فى كوب من اللبن ، وراح يحيط بهم ، ويغرقهم فى ليل مخيف رهيب ، ورعب قاس عنيف ، حتى هيمن على كل ما يحيط بهم ، والكلمات معقودة فى حلوقهم ، من فرط الذهول والارتياع ، وبخاصة المقاتلون الثلاثة ، الذين واجهوا الأهوال الطبيعية فى حياتهم ، ولكنها لأول مرة يواجهون ظواهر شيطانية كهذه ..

ولدقائق طويلة ، بدت أشبه بدهر بلا حدود لم ينبس أحدهم ببنت شفة ، والظلام الرهيب يحيط بهم ، ويطبق على أنفسهم وعقولهم ، حتى هتف الدكتور (عبادة) فجأة فى ارتياع :

ـ إنه هنا .

استدار إليه الكل فى ذعر ، فتابع فى هلع ، وهو يلوّح بذراعيه فى حدة :

- إنه يراقبنا طوال الوقت .. لقد سمع ما قلناه بشأن الاهتداء بالشمس لتحديد اتجاهنا ومسارنا ، فحجبها عنا .. إنه هنا .. هنا .

بحركة غريزية ، راحوا يتلفتون حولهم فى خوف وقلق وذعر ، قبل أن تتسع عينا (نشوى) عن آخرهما ، ثم تطلق صرخة قوية ..

ومع صرختها ، وعلى الرغم من الظلام ، استدار الكل إلى حيث تنظر ..

وسرت ارتجافة عنيفة فى القلوب والأجساد ..

فهناك ، من بين الأغصان المتشابكة ، ووسط الظلام المحيط بكل شىء ، كانت هناك عيون ..

عشرات العيون ، التى تتطلع إليهم ، وتتألق ..

بل تضىء ببريق خاص ..

بريق وحشى ..

للغاية ..

* * *

التقط رئيس وزراء تلك البلد الإفريقى نفسًا عميقًا ، قبل أن يدلف إلى مكتب رئيس جمهوريتها ، ويستبدل قلقه أمامه بابتسامة كبيرة زائفة ، وهو يقول :

- سيدى الرئيس .. إنه لمن دواعى فخرى أن ألتقى بسيادتكم اليوم ، ومن دواعى سعادتى أن ...

قاطعه الرئيس فى عصبية :

- ماذا حدث للبعثة المصرية يا رجل ؟!

قلب رئيس الوزراء شفتيه وكفيه ، ورسم الحزن والأسى على وجهه ، وهو يجيب :

- حادث مؤسف يا سيادة الرئيس .. طوافتهم اختل توازنها ، وسقطت وسط الأحراش .

سأله الرئيس فى توتر :

- وماذا فعلتم إزاء هذا ؟! أى إجراء اتخذتم ؟!

تردد رئيس الوزراء بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حذر :

- وماذا يمكننا أن نفعل يا سيادة الرئيس ؟!

صاح الرئيس فى غضب :

- ماذا تعنى بهذا القول السخيف ؟! كيف يمكننى أن أبلغ به المصريين ، الذين يطالبوننا رسمياً باتخاذ أى إجراء ، للبحث عن بعثتهم ، وإنقاذ الناجين المحتملين منها ؟! ماذا أقول لهم ؟!

تردد رئيس الوزراء بضع لحظات أخرى ، ثم قال فى حذر أكثر :

- لقد سقطوا فى منطقة الـ (فو - كا) يا سيادة الرئيس .

اتسعت عينا الرئيس فى ارتياع ، وبدا كمن تلقّى صدمة قاسية ، وهو يقول :

- الـ (فو - كا) ؟! (أرض الأرواح الخالدة) ؟! أحقاً ما تقول ؟!

هزّ رئيس الوزراء رأسه ، مصطنعاً الأسف ، وهو يجيب :

- مهما فعلنا أو حاولنا ، لن نجد شخصاً واحداً ، يوافق على الذهاب إلى هناك ، حتى ولو كان الهدف إنقاذ أمه نفسها .

لوّح الرئيس بيده ، وهو يقول فى عصبية :

- لايمكننى أن أبلغ المصريين هذا رسمياً ؛ فسوف يعرضون فوراً إرسال فريق منهم للقيام بالمهمة على أرضنا .

هتف رئيس الوزراء فى انزعاج شديد :

- لايمكن أن نسمح لهم بهذا .

أجابه الرئيس فى سرعة :

- بالتأكيد .

ثم عاد يلوّح بذراعيه ، مستطرداً :

- ولكن كيف نجيبهم رسمياً ؟!

صمت رئيس الوزراء بضع لحظات ، وهو يفكّر فى عمق ، قبل أن يقول فى حذر :

- بأننا قد أرسلنا فريق بحث بالفعل .

حدّق الرئيس فيه لحظة ، باستنكار مندهش ، قبل أن يهتف :

- هل نخدعهم ؟!

هتف رئيس الوزراء فى سرعة :

- رسميًا .

احتفظ الرئيس بنظرته المندهشة المستنكرة بعض الوقت ، قبل أن يعقد حاجبيه فى تفكير ، ويتراجع فى مقعده ، ويحك ذقنه بسبّابته فى توتر ، ثم يسأل فى حذر زائد :

- هل يمكن أن يفلح هذا ؟!

أجابه رئيس الوزراء ، وقد أدرك أن محاولته قد بدأت تؤتى ثمارها :

- ولِمَ لا ؟!

مطّ الرئيس شفتيه ، ولوّح بأصابعه ، قائلاً فى خفوت :

- المصريين لديهم أقمار رصد صناعية قوية .

هزّ رئيس الوزراء كتفيه ، وهو يقول :

- دعهم يرصدون ما يحلو لهم .. سنرسل طوّافة حربية خالية ، لتهبط وسط الأشجار الكثيفة ، ثم تعود إلينا بعد دقائق معدودة ، وسنخبرهم أنها كانت تحمل فريق البحث .

سأله الرئيس ، فى خفوت أكثر :

- وهل سيصدقون ؟!

مال رئيس الوزراء نحوه أكثر ، وهو يجيب :

- لن يكون أمامهم سوى هذا .

رمقه الرئيس بنظرة قلقة طويلة ، فأضاف فى حزم :

- ولن يمكنهم إثبات العكس ، أو التيقّن منه أبدًا .

عضّ الرئيس شفتيه ، وهو يجاهد لاستيعاب ذلك المنطق الثعلبى ، ثم لم يلبث أن أدرك أنه ليس أمامه بديل ، فهزّ رأسه ، متمتمًا :

- على بركة الله ..

وهنا تراجع رئيس الوزراء فى بطء ، وعيناه تتألقان ببريق ظافر قوى ..

لقد حسم على الفور ، أعقد نقطة فى العملية كلها ..

والآن ، يمكن أن ينسى أمر تلك البعثة المصرية ..

عمليًا ..

ورسميًا ..

* * *

لم يتحرك أحد ..

لا من فريق (نور) ، ولا من تلك العيون المتألقة الصغيرة ..

الموقف كله تجمد ، كما لو أنه لوحة مخيفة ، على جدار أسود ..

ولدقائق لا يعلم عددها إلا الله (سبحانه وتعالى) ،

راح الطرفان يحدقان فى بعضهما وسط الظلام ، فى صمت وسكون ، قبل أن تهتف (سلوى) :

- إلى متى ؟!

نسف هتافها جدار الصمت المذعور ، فقال (رمزى) فى سرعة :

- إلى أن يقتلنا الخوف .

سأله (نور) فى اهتمام ، دون أن يرفع عينيه عن تلك العيون الصغيرة المتألقة :

- هل تعتقد أن هذا هو الهدف ؟!

غمغم (رمزى) :

- بالتأكيد .

أطلق الدكتور (حجازى) زفرة عصبية ، قبل أن يقول :

- لو أن هذا هو الهدف ، فقد نجحوا بالتأكيد .. الخوف يكاد يقتلنى بالفعل .

سحب (أكرم) مسدسه فى حذر قائلاً :

ـ ومن سيسمح لهم بهذا !

حذا المقاتلون الثلاثة حذوه ، ورفع كل منهم فوهة مدفعه ، نحو تلك العيون الصغيرة ، فقال (نور) فى صرامة ، وهو يشير بيده :

ـ ليس الآن .

هتف به (أكرم) فى عصبية :

ـ متى إذن ؟!

أخرج (نور) مصباحًا يدويًا من جيبه ، وهو يجيب بنفس الصرامة :

ـ بعد أن نجرى اختبارًا بسيطًا .

ضغط زر مصباحه اليدوى ، وصوّب شعاع الضوء إلى المنطقة المظلمة بين الأشجار ، والتى تطلّ منها تلك العيون الصغيرة المتألقة ..

وشهقت (نشوى) فى دهشة بالغة ..

فوفقًا لما أظهره ضوء المصباح اليدوى ، لم يكن هناك أى شىء فى تلك البقعة !!

شعاع الضوء كان يسقط على أغصان وأوراق وجذوع أشجار فحسب ..

لا عيون أو أجساد ، أو حتى كائنات صغيرة ..

ثم أطفأ (نور) ضوء مصباحه اليدوى ..

وعادت تلك العيون للظهور ، صغيرة ، متألقة ، تحدّق فى الكل بشراسة عجيبة ، جعلت الدكتور (عبادة) يغمغم فى عصبية :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

أشعل (نور) مصباحه اليدوى مرة أخرى ..

واختفت كل العيون الصغيرة ..

وعندما أطفأه مجددًا ، عادت العيون للظهور والتألق !!

وفى حيرة عصبية خائفة تمتمت (سلوى) :

ـ أهذا نوع من الخداع البصرى أم ماذا ؟!

مع آخر حروف عبارتها ، سمع الكل فى وضوح صوت أقدام ثقيلة ، تطأ وتسحق أوراق الأشجار الجافة ، التى تكسو المكان ..

أقدام عديدة ، توحى بأن أجسادًا ضخمة تتجه نحوهم ..

ومن كل صوب ..

وفى توتر ، راح (نور) يدير مصباحه اليدوى فيما حوله ، و(أكرم) يهتف فى عصبية بالغة :

ـ رباه !! الصوت يوحى بأنها قريبة للغاية منا ، وعلى الرغم من هذا فلسنا نرى شيئًا .

اتسعت عينا الدكتور (حجازى) فى ارتياع ، وهو يهتف :

ـ هل .. هل يمكن أن يكون خصمنا خفيًا .

انعقد حاجبا (نور) بشدة مع العبارة ، وخفض ضوء مصباحه بحركة آلية نحو أرضية المكان ، و ...

وصرخت (مشيرة) بكل رعب الدنيا ..

فالأوراق الجافة ، التى تنسحق بحركة منتظمة ، فى الطريق إليهم ، دون جسد مرئى ، كانت تؤكد أن ارتياع الدكتور (حجازى) كان صحيحًا ..

تمامًا ..

إنهم يواجهون خصومًا غير مرئية ..

خصوم لا يعلمها إلا الخالق (عزّ وجلّ) ، و ...

وفجأة انطلقت زمجرات رهيبة من حولهم ..

ثم صرخ أحد المقاتلين الثلاثة ، وذراعه تتمزق على نحو بشع ، كما لو أنها قد تلقت ضربة هائلة ، من يد ذات مخالب رهيبة ..

وكان هذا يعنى أن الموت قد انقضّ عليهم بلا رحمة ..

الموت الخفى .

* * *

٤ـ الطريق إلى الموت ..

موجة هائلة من الذعر والاضطراب أصابت تلك البقعة المظلمة ، من أحراش (إفريقيا) ، إثر تمزّق ذراع ذلك المقاتل ..

(سلوى) و(نشوى) و(مشيرة) أطلقن صرخات رعب هائلة ، وهن يعدون على غير هدى ، فرارًا من خصم وحشى ، خفى ، مجهول ..

الكتور (حجازى) ، تراجع فى رعب ، حتى التصق بجذع شجرة ضخم ، وهو يهتف :

ـ مستحيل ! مستحيل !

والدكتور (عبادة) راح يضرب الهواء بذراعيه ، فى محاولة للدفاع عن نفسه ، وهو يصرخ :

ـ لا .. ليس أنا .. ليس أنا .

وإلى جواره ، شحب وجه الدكتور (رمسيس) ، حتى بات أشبه بالموتى ، وارتجفت شفتاه فى شدة ، وهو عاجز عن الفرار من ذلك الخطر الخفى ..

أما (أكرم) و(نور) ، والمقاتلون الثلاثة ، بما فيهم ذلك الذى تمزّقت ذراعه ، فقد راحوا يطلقون النار نحو هدف مجهول ، لاتراه عيونهم ، أو ترصده عقولهم ..

ووسط كل هذا ، انبعثت زمجرة رهيبة ..

زمجرة ، ارتجّت لها الأحراش كلها ، وانسحقت معها مساحة كبيرة من أوراق الشجر الجافة ، قبل أن يطلق الدكتور (عبادة) صرخة ألم ورعب بلاحدود ، وساقه تتمزّق على نحو مخيف ، وتتفجّر منها الدماء فى عنف ..

وبكل انفعاله ، صرخ (نور) :

ـ تراجعوا .. تراجعوا جميعًا .

صاح به (أكرم) ، وهو يطلق رصاصات مسدسه فى كل اتجاه :

ـ إلى أين ؟!



أدار (نور) ضوء مصباحه اليدوى فيما حوله ، في توتر شديد ، حتى لمح طريقًا بين الأشجار الكثيفة ..

أدار (نور) ضوء مصباحه اليدوى فيما حوله ، فى توتر شديد ، حتى لمح طريقًا بين الأشجار الكثيفة ، فصاح وهو يندفع نحو الدكتور (رمسيس) ، ويحمله على كتفيه :

- إلى ذلك الطريق هناك .. أسرعوا .

النساء أول من أطعن هتافه ، وانطلقن يعدون بكل قوتهن نحو ذلك الطريق ، الذى بدا وكأنه المخرج الوحيد من تلك المنطقة ، التى يهاجمهم فيها الوحش الخفى بلارحمة ، ثم تبعهن الدكتور (حجازى) ، و(رمزى) ، ثم (أكرم) ، الذى حمل الدكتور (عبادة) ، ثم (نور) بحمله ، وأخيرًا المقاتلون الثلاثة ، أحدهم يعاون زميله ممزق الذراع ، والآخر يطلق النار خلفهم في سخاء ، فى محاولة لمنع ذلك الشىء الخفى من تعقبهم ..

ولكن يبدو أن ذلك الوحش المجهول لم يكن ينوى حتى هذا ؛ فهو لم يحاول أن ينطلق خلفهم ، وإنما

راح يطلق زمجراته المخيفة ، وكأنما يعلن انتصاره عليهم جميعًا ..

ولقد واصل الكل العدو ، عبر ذلك الطريق ، الذى يكشفه ضوء مصباح (نور) ، والذى بدا أشبه بممر مدروس ، تم صنعه خصيصًا لهروبهم ، و ...

« قفوا .. » ..

لم يدر أحدهم متى أطلق (نور) هذه الصيحة الآمرة ، ولكنهم أطاعوها جميعًا بحركة غريزية ، وتوقفوا دفعة واحدة ، وهم يلهثون بشدة ، والدكتور (عبادة) يصرخ :

ـ ساقى تنزف بشدة .. إننى أموت .. أموت ..

على الرغم من إرهاقه وتوتره الشديدين ، اندفع (رمزى) نحوه ، قائلاً :

ـ لقد أحضرت حقيبة الإسعافات .. سأفعل كل ما يمكننى .

هتفت (مشيرة) فى عصبية :

ـ أنت الوحيد الذى أحضر شيئًا إذن ، فكلنا تركنا معداتنا خلفنا ، من فرط الرعب .

انضمت (نشوى) إلى زوجها ، وراحت تضمد ذراع المقاتل الممزقة ، فى حين عقد (نور) حاجبيه ، وهو يتمتم :

ـ ربما كان هذا هو المقصود .

التفت إليه الدكتور (حجازى) ، يسأله فى توتر :

ـ ماذا تعنى يا (نور) ؟!

أشار (نور) بسبابته ، مجيبًا فى حزم :

ـ منذ سقوطنا هنا ، والأمور تبدو كما لو أنها تسير وفق منهج مدروس ، يدفعنا فى اتجاه واحد ، لاخيار فيه .. حتى سقوطنا نفسه ، يبدو لى وكأن قوة خارقة قد تدخلت فيه ، لنسقط فى بقعة بعينها .. وعندما أردنا الاسترشاد بالشمس ، أحاط بنا هذا الظلام المبهم .. ولما طال مكوثنا فيها ، ظهرت تلك العيون المخيفة ، وهاجمنا ذلك الوحش الخفى ، حتى يدفعنا إلى الطريق الوحيد أمامنا ..

سألته (سلوى) مرتجفة :

ـ هل تعنى أنه هو الذى دفعنا إلى هنا ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، ثم استدار فى سرعة :

ـ وفى كل الأحوال ، لم يكن أمامنا سوى هذا الطريق .

التقط (أكرم) مصباحه اليدوى ، وأضاءه نحو امتداد الطريق ، الذى بدا وكأنه بلا نهاية ، فغمغم فى عصبية :

ـ السؤال هو إلى أين يقودنا هذا الطريق ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) فى انفعال :

ـ إلى المصير نفسه ، الذى يقودنا إليه كل شىء هنا ..

واتسعت عيناه فى رعب ، وهو يضيف :

ـ الموت .

أصابت كلمته الكل فى مقتل ، فخيّم عليهم الوجوم ،

وتطلّعوا إلى بعضهم البعض فى خوف ويأس ، كاد يسيطر على كيانهم ، لولا أن قال (نور) فجأة فى حزم :

ـ لابد أن نستعيد معداتنا .

نجحت عبارته الحازمة فى انتزاعهم من يأسهم ، وإن فجّرت فيهم دهشة ، جعلت (سلوى) تقول :

ـ ولماذا ؟! كل الأجهزة لا تعمل فى دائرة نفوذه !

أجابها بلهجة صارمة :

ـ علماء البعثة السابقة قالوا : إنه تركهم يسجلون كل ما يحدث ، عندما كانوا فى منطقة المعبد المزدوج ، وهذا يعنى أن الأجهزة الإليكترونية يمكنها أن تعمل هناك .

قالت (سلوى) فى اهتمام :

ـ هذا صحيح .

هتف الدكتور (عبادة) ، وهو يعض شفته ألمًا :

ـ هذا بافتراض أننا سنصل إلى هناك .

تجاهل الكل عبارتـه دون اتفـاق ، وقـال الدكتـور (حجازى) فى حزم :

ـ (نور) على حق .. إننـا بعثـة علميـة بالدرجـة الأولى ، ولامعنى لتقدُّمنا بدون معداتنا .

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

ـ انتظروا هنا .. سأعود إلى حيث تركنا المعدات ، وأحاول إحضار كل ما يمكننى حمله .

اتجه (أكرم) إليه ، قائلاً فى حزم :

ـ سآتى معك .

أراد (نور) أن يعترض ، ولكن (أكرم) استطرد فى حدة :

ـ اثنان أفضل من واحـد ، ويمكنهمـا حمل ضعف ما سيحمله وحده .

تساءل (نور) :

ـ ومن سيبقى لحمايتهم .

رفع المقاتل المصاب مدفعه ، وهو يقول فى حزم :

ـ هل نسيتنا أيها القائد ؟!

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يبتسم ابتسامة باهتة ، قائلاً :

ـ كلاً بالتأكيد .. لحموهم بأرواحكم ، لو اقتضى الأمر .

أجابه مقاتل آخر فى حزم مماثل :

ـ اطمئن أيها القائد .. إنه واجبنا .

بدأ (نور) و(أكرم) تحرّكهما ، فهتفت (سلوى) :

ـ (نور) .

استدار إليها بعينين متسائلتين ، فغمغمت بصوت مرتجف ، أقرب إلى البكاء :

ـ لا تجازف كثيرًا ، واجتهد لتعود إلينا سالمًا .

أضافت (نشوى) فى سرعة :

ـ ولو بدون المعدات .

ابتسم لهما مطمئنًا ، وهو يقول :

ـ سأبذل قصارى جهدى .

ثم غاب هو و(أكرم) وسط الظلام ..

ولثوان ، تابع الكل ضوء مصباحيهما ، قبل أن يختفى وسط الأحراش المتشابكة ، فتمتم الدكتور (حجازى) :

ـ أعدهما إلينا سالمين يا إلهى !

لم يسمع (نور) و(أكرم) عبارته ، وهما يعدوان عائدين إلى حيث سقطت الطوّافة ، والثانى يسأل فى توتر :

ـ كم ابتعدنا فى رأيك ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ ما بين ثلاثمائة وخمسمائة متر تقريبًا .

هتف (أكرم) :

ـ كنت أتصورُ أننا قد عدونا دهرًا .

قال (نور) ، وضوء مصباحه يشقّ الطريق أمامه :

ـ ليس إلى هذا الحد .

ثم أشار بيده ، وهو يتوقّف بغتة ، مستطردًا فى صرامة آمرة :

ـ انتظر .

كاد (أكرم) يسقط على وجهه ، مع توقّفه المباغت ، وهو يتساءل بأنفاس لاهثة :

ـ ماذا هناك ؟!

قال (نور) فى حزم متوتر :

ـ ربما كان ذلك الشىء الخفى بانتظارنا هناك ؛ لضمان عدم عودتنا مطلقًا .

ثم عاد يشير بيده ، مضيفًا فى صرامة ، وهو يطفئ مصباحه اليدوى :

ـ أطفئ مصباحك .

أطاعه (أكرم) وهو يقول فى عصبية :

ـ وكيف سنرى فى هذا الظلام ؟!

قبل أن يجيبه (نور) ، تألقت فجأة تلك العيون الصغيرة من حولهم ، فهتف (أكرم) فى حدة ، وهو يرفع مسدسه :

ـ يا إلهى !

أسرع (نور) يضىء مصباحه اليدوى مرة أخرى ، وهو يهتف :

ـ رويدك .. لا تفزع .

كان الممر الذى يعدوان فيه من الضيق ، بحيث لاحظ هذه المرة مالم ينتبه إليه ، وعندما طالعتهم تلك العيون المتألقة ، فى منطقة سقوط الطوافة ، فاستطرد فى حزم عصبى ، وهو يعيد إطفاء مصباحه :

ـ انتظر .. هناك شىء ما .

قال (أكرم) فى حدة :

ـ أى شىء ؟!

مال (نور) فى حذر ، ومس إحدى تلك العيون المتألقة ، فهتف به (أكرم) ، وهو يقفز نحوه :

ـ احترس يا (نور) .

ولكن (نور) أمسك تلك العين المتألقة ، وأضاء مصباحه فيها مباشرة ، وهو يقول :

ـ عجبًا ! انظر يا صديقى .. ما أخافنا حتى الموت هناك ، لم يكن قط كما تصوّرنا .

هتف (أكرم) بدهشة شديدة التوتر ، وهو يحدّق فيما أمسك به (نور) :

ـ ولكن .. ولكنها مجرّد ورقة شجر !!

أشار (نور) إلى دائرة بيضاء تميل إلى الزرقة ، فى منتصف ورقة الشجر ، وهو يقول :

ـ انظر .. هذه ما بدت لنا فى الظلام أشبه بعيون

متألّقة .. إنها مادة فسفورية ، تضىء فى الظلام بما اكتسبته واختزنته من ضوء النهار ، أو الأضواء الصناعية ، أو ما يطلق عليه اسم (الفسفرة)[*].

حدّق (أكرم) فى الورقة ، قائلاً :

- (نور) .. لقد كنت طالبًا مجتهدًا ، فى المرحلة الثانوية ، ولكننى لست أذكر نباتًا له هذه السمة !

هزّ (نور) رأسه ، قائلاً :

- لست خبيرًا فى علم النبات لأجزم بهذا ، ولكننا نعلم جميعًا أن هذه ليست أحراشًا طبيعية .

تلفّت (أكرم) حوله فى توتر ، مغمغمًا :

- ليس لدى أدنى شك فى هذا .

ترك (نور) أوراق الشجر ، وعاد يطفئ مصباحه اليدوى ، وهو يقول فى حزم :

(*) الفسفرة : ضوء ينبعث من مواد مضاءة بألوان لا توجد فى الإشعاع المضىء ويطلق على الضوء المنبعث من الكائنات الحية مصطلح (الفسفرة) ، إلا أن المصطلح الأكثر دقة هو (الاستضاءة الحيوية) ، أو (الاستضواء الحيوى) ، وفى (الفسفرة) يستمر انبعاث الضوء ، حتى بعد إيقاف الإضاءة .

- والآن ، وبعد أن حسمنا أمر تلك العيون المتألّقة ، دعنا نواصل طريقنا ؛ لاستعادة معداتنا .

تبعه (أكرم) فى حذر ، وهو يتطلّع إلى تلك الأضواء الصغيرة المحيطة به فى توتر قلق ، على الرغم مما رآه بنفسه ، ويتحسّس طريقه فى عصبية ، على الضوء الخافت المنبعث منها ..

وفجأة ، أمسك (نور) يده فى قوة ، فهتف فى عصبية :

- ماذا حدث ؟!

همس (نور) فى أذنه بانفعال :

- اخفض صوتك يا صديقى .. لقد بلغنا منطقة سقوط الطوّافة ، ويبدو أن شيئًا ما يتحرك هناك .

همس (أكرم) فى عصبية أكثر :

- شىء مثل ماذا ؟!

غمغم (نور) ، وهو يجاهد ليخترق حجب ذلك الظلام الشيطانى ببصره عبثًا :

- من يدرى ؟!

أرهف (أكرم) سمعه فى توتر ، والتقطت أذناه صوت حفيف أوراق ، ووقع أقدام ثقيلة تسحق الأوراق الجافة على الأرضية ، ثم صوت صليل معدنى ، قبل أن يسود الصمت التام بغتة ..

ولثوان ، لم يتحرك أحدهما قيد أنملة ، وكلاهما يرهف السمع بكل انتباه واهتمام ، قبل أن يغمغم (أكرم) فى عصبية :

- لم يعد هناك أحد .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول فى توتر :

- كيف ؟! إننا نقف فى طريق الخروج الوحيد ، من تلك المنطقة الفسيحة هناك .

غمغم (أكرم) بنفس العصبية :

- طريق الخروج الوحيد الذى نعرفه .

مطّ (نور) شفتيه ، وهو يتمتم :

- بالضبط .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يسأله فى حزم ، وهو يرفع فوهة مسدسه الليزرى :

- أأنت مستعد ؟!

جذب (أكرم) إبرة مسدسه ، قائلاً فى حزم :

- بالتأكيد .

هتف (نور) :

- هيا .

أشعل كلاهما ضوء مصباحه اليدوى ، وهما يندفعان نحو منطقة سقوط الطوافة ، وكل منهما متحفز بمسدسه ، و ...

وكان وقع المفاجأة عليهما عنيفًا بالتأكيد ..

فالمكان كان خاليًا تمامًا !!

بكل معنى الكلمة !!

فلم يكن هناك أثر لأى مخلوق حى !!

أو للمعدات !!

أو حتى للطوّافة !!

فقط كانت هناك آثار الدماء ، التى نزفت من ذراع المقاتل الممزّقة ، وساق الدكتور (عبادة) ، التى أصابتها مخالب الوحش الخفى !!

وفى ذهول تام ، أدار (أكرم) عينيه فى المكان ، ليتيقّن من أنه لايوجد منفذ واحد ، يكفى لخروج شخص ضئيل ، فما بالك بحقائب ممتلئة بالأدوات والمعدات والأجهزة التكنولوجية المتطوّرة !!

بل وبطوّافة ضخمة ، حملت كل تلك المعدات ، مع أفراد الفريق !!

وبكل ذهوله ، هتف (أكرم) :

ـ ولكن كيف ؟! كيف ؟!

التقى حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يدير ضوء مصباحه فى كل مكان ، ويقول بلهجة حملت كل التوتر والحيرة :

ـ هناك حتمًا وسيلة ما .

هتف (أكرم) فى حدة :

ـ وسيلة شيطانية حتمًا ، ككل ماواجهناه حتى الآن .. وسيلة من وسائل سحر (الفودو) الرهيب .

قال (نور) فى عصبية :

ـ مستحيل ! طوال الطريق ، من (مصر) إلى هنا ، كنت أقرأ كل ما كُتبَ عن سحر (الفودو) ، ولكن أحدًا من الباحثين فيه لم يسجّل شيئًا من هذه الأعمال الخارقة .

سأله (أكرم) فى توتر شديد :

ـ هل تعتقد أننا نواجه ما هو أكثر من هذا ؟!

واصل (نور) البحث بضوء مصباحه عن مخرج آخر ، وهو يقول بنفس العصبية :

ـ بل أعتقد أننا نواجه المصدر الرئيسى ، لكل مايشاع عن سحر (إفريقيا) منذ الأزل .

هتف (أكرم) :

ـ (نور) .. إنك تبعث فى نفسى الخوف .

قال (نور) فى صرامة عصبية :

ـ الأمر يستحق هذا ياصديقى .. يستحقه بالفعل .

قالها ، ثم هتف فى حنق :

ـ عجبًا ! لا يوجد أى مخرج آخر بالفعل ، كيف استولوا على كل هذا ؟!

قال (أكرم) فى توتر شديد :

ـ بل قل من هم يارجل ؟!

التفت إليه (نور) بحركة حادة ، وحدّق فيه لحظة ، وكأنما يستنكر ماقاله ، ثم لم يلبث أن تمتم فى عصبية شديدة :

ـ نعم .. من هم ؟!

لم يكد ينطقها ، حتى سمع كل منهما فى وضوح صوت أقدام تعدو خلف الأشجار ، فاستدارا بضوء مصباحيهما فى آن واحد إلى مصدر الصوت ..

ولم يكن هناك شىء ..

ولكن الأمر تكرّر إلى يسارهما ..

ومرة أخرى استدارا بضوء مصباحيهما نحوه ..

فتكرّر إلى اليمين ..

وفى عصبية ، هتف (أكرم) :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

أجابه (نور) فى حدة :

ـ إنهم يحاولون إرباكنا ، وإفقادنا السيطرة على أعصابنا .

صرخ (أكرم) :

ـ من هم ؟!

رفع مسدسه الليزرى بحركة حادة ، هاتفًا :

- دعنا نجبرهم على الظهور ، لنعرف من هم .

قالها ، وضغط زناد مسدسه الليزرى ، وانطلق خيط الأشعة نحو جذع شجرة ضخم ..

وفجأة ، وما إن ارتطمت الأشعة بذلك الجذع ، حتى تألق كله بضوء مبهر ، أجبرهما على إغماض عيونهما ، والإشاحة بوجهيهما ، و (أكرم) يهتف :

- ما هذا يا (نور) ؟! ما هذا ؟!

هتف (نور) ، وهو يشعر أن ذلك الضوء المبهر يخترق جفنيه المغلقين :

- ظاهرة (الفسفرة) مرة أخرى ، ولكن على نحو مضاعف رهيب ..

هتف (أكرم) ، وهو يحمى وجهه بذراعه :

- لكن لماذا الآن ؟! لقد أطلقت أشعة مسدسك من قبل هنا ، ولم يحدث هذا ! لماذا الآن ؟! لماذا ؟!

كان الجذع يتألق بضوء مبهر للغاية ، يغشى الأبصار ، و (نور) يهتف :

- كل شىء هنا يحدث بحساب ، وعندما تدعو الحاجة إلى هذا .

هتف (أكرم) :

- وما الحاجة هذه المرة ؟!

لوّح (نور) بذراعه ، هاتفًا فى عصبية :

- من يدرى ؟! ربما يحيطون بنا الآن ، أو ...

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلقت فجأة تلك الصرخة ..

صرخة حملها الهواء إلى أذنيهما ، وحملت هى صوت (مشيرة) ، زوجة (أكرم) ..

وعلى الرغم من توترهما ، والضوء المبهر الذى يغشى بصريهما ، استدارا معًا إلى مصدر الصرخة ، بكل ما ملأ جسديهما من انفعال ..

وفى نفس لحظة استدارتهما ، انطلقت صرختان أخريان ..

صرختان حملتا صوتى (سلوى) و(نشوى) ..

ثم امتزجتا بدوى المدافع الآلية ، التى يحملها المقاتلون ..

وفى لحظة واحدة ، ودون تبادل حرف واحد ، انطلق (نور) و(أكرم) يعدوان نحو ذلك الممر ؛ للعودة إلى حيث تركا الباقين ..

وخلال الأمتار المائة الأولى ، كانت الصرخات تتردّد ، مع دوى الرصاصات ..

وكانت عيون (نور) و(أكرم) مازالت مرهقة مجهدة ، من ذلك الضوء المبهر ، الذى تركاه خلفهما ..

وبكل انفعاله ، صرخ (أكرم) :

ـ ماذا يحدث ؟! ماذا يحدث يا (نور) ؟!

لم يجب (نور) سؤاله ، وقلبه يخفق فى عنف ، وخاصة مع الضوء القوى ، الذى لاح من بعيد ..

من حيث تركا رفاقهما ..

ثم إن هذا الضوء قد ارتبط بتوقف الصراخ ودوى الرصاصات تمامًا ..

وضاعف (نور) و(أكرم) سرعتيهما ، حتى بلغا البقعة ، التى تركا فيها الآخرين ..

وهناك ، صرخ (أكرم) فى انفعال جارف :

ـ لا .. لا ..

فعلى الرغم من أن الضوء ، الذى تشعه جذوع الأشجار ، والأوراق المتصلة بها ، لسبب مجهول ، لم تكن مبهرة ، مغشية للأبصار ، إلا أن المنطقة ، باستثناء مدفع آلى محترق ، كانت خالية ..

خالية تمامًا ..

فقد اختفى الكل ، دون أن يتركوا خلفهم أثرًا ..

أدنى أثر .

* * *



لسبب مجهول ، لم تكن مبهرة ، مغشية للأبصار ، إلا أن المنطقة ، باستثناء مدفع الى محترق ..

٥ - نيـــران ..

طـالع القـائد الأعلى للمخابرات العلميـة المصريـة تلك المجموعة من الصـور ، التى نقلهـا لـه الدكتـور (جلال) ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلَّع إلى البقع التى أشـير إليهـا بدوائـر حمـراء ، قبـل أن يتساءل فى حيرة :

- ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

تنحنح الدكتور (جلال) ، وهو يقول :

- لقد استخدمنا أسلوبًا جديدًا لرصد المنطقـة ، التى بسط عليها ذلك الكاهن نفوذه .. أو بمعنى أدق ، عدنا للأسلوب التقليـدى القديم ، ألا وهو التصوير الضوئى العادى ، باستخدام أفلام التصوير الجيلاتينية العادية ، وتلك الخاصة بالتصوير بالأشعة دون الحمراء ، وقام الخبراء بالتقاط الصور من زاوية غير تقليدية ، حتى لا تسقط أقمار الرصد الرقمية فى مجال انعدام الـ ...

قاطعه القائد الأعلى ، فى توتر ملحوظ :

- النتائج يا دكتور (جلال) .. النتائج .. المفترض أنك المسئول عن التفاسير العلمية وليس أنا .

تنحنح الدكتور (جلال) مرة أخرى ، قبل أن يقول :

- لقد بدت صور الأحراش عادية فى البداية ، وكل محاولات التكبير لم تسفر عن شىء ، فالأشجار والأغصان متشابكة إلى حد عجيب ، بحيث تحجب الرؤية تماماً ، بالإضافة إلى أن كل الفتحات التى عثر عليها الخبراء ، كانت مظلمة إلى حد مدهش ، يتنافى مع كوننا فى منتصف النهار ، بتوقيت ذلك البلد الإفريقى بالطبع ، أما صور أفلام الأشعة دون الحمراء ، فقد حملت إلينا تلك المفاجأة ، الموجودة بالصور التى تطالعها يا سيادة القائد .

تطلع القائد الأعلى إلى الصور مرة أخرى ، قبل أن يقول فى عصبية :

- أيبدو لك كل هذا جواباً لسؤالى .

تنحنح الدكتور (جلال) مرة ثالثة ، على نحو مستفز ، ثم أشار إلى الصور ، قائلاً :

- هناك نقاط عشوائية ، تصدر انبعاثاً حرارياً أعلى من المتوقع ، ولفترات قصيرة نسبياً ، وهى التى تبدو كبقع حمراء داكنة فى الصور ، وذلك الانبعاث الحرارى ليس ناشئاً عن إشعال نيران أو ما شابه ، ولكنه أقرب إلى عمليات حيوية ، تتم بصورة فائقة للمألوف ، وفى الوقت ذاته نلاحظ انبعاثاً حرارياً ثابتاً نابضاً من الأحراش غير القابلة للرصد الرقمى كلها ، دون سواها من الأحراش المجاورة ، و ...

قاطعه القائد الأعلى مرة أخرى ، وقد نفد صبره بحق :

- النتائج يا دكتور (جلال) .. النتائج .

تنحنح الدكتور (جلال) لمرة رابعة ، على نحو أدهش القائد الأعلى ، فتطلع إلى عينيه مباشرة ، وهو يسأله فى شىء من الصرامة :

- ما الذى تخشى التصريح به بالضبط ؟!

لوّح الدكتور (جلال) بيده ، وهو يقول فى توتر :

ـ لقد عرضت الصور على أفضل ما لدينا من خبراء ، ثم لم أكتف بهذا ، فقمت بعرضها على ثلاث مجموعات منفصلة ، و ...

قاطعه القائد الأعلى للمرة الثالثة ، وفى صرامة شديدة :

ـ وكيف جاءت النتائج ؟!

ازدرد الدكتور (جلال) لعابه هذه المرة ، وهو يجيب فى خفوت :

ـ حية .

مال القائد الأعلى نحوه ، وأمال أذنه إليه ، متسائلاً :

ـ ماذا ؟!

ازدرد الرجل لعابه مرة أخرى ، قبل أن يجيب بصوت واضح ، وعلى نحو أكثر حسمًا وحزمًا :

ـ تلك الأحراش حية .. ليس كغابة كثيفة من النباتات ، ولكن كمخلوق حى كامل .

واتسعت عينا القائد الأعلى عن آخرهما ..

وسرت فى جسده ارتجافة باردة كالثلج ..

ارتجافة تمنت لو أن كل حرف سمعه لم يكن حقيقة ..

هذا لأن الأمر كان مذهلاً ..

مذهلاً بحق ..

* * *

« أين ذهبوا ؟! » ..

صرخ (أكرم) بالسؤال ، بكل ما يملأ أعماقه من غضب وثورة وانفعال ، ثم راح يدور حول نفسه ، رافعًا مسدسه فى تحفز ، وهو يصرخ :

ـ (مشيرة) .. أين أنت ؟! ماذا فعلوا بك ؟!

لم يكن (نور) أقل منه غضبًا وانفعالاً ، إلا أن عينيه كانتا تدوران فى المكان فى توتر بلا حدود ، بحثًا عن أى شىء يمكن أن يحمل تفسيرًا لما حدث ، أو توضيحًا لما أصاب زوجته وابنته وفريقه ..

وتركَّزت عيناه على المدفع المحترق ، فاندفع نحوه ، وانحنى يفحصه فى عصبية ، قبل أن يقول :

ـ هذه المدافع مصنوعة من مزيج من الألومنيوم والتيتانيوم ، ومعالجة بحيث تتحمل درجات حرارة تصل إلى ألفى درجة مئوية ، وحتى تذوب أطراف هذا المدفع ، وتلتوى على هذا النحو ، لابد أن تتعرَّض لدرجة حرارة تبلغ ثلاثة آلاف درجة مئوية تقريبًا :

تجاهل (أكرم) حديث (نور) ، وهو يصرخ فى انفعال :

ـ أين أنت يا (مشيرة) ؟! أين أنتم جميعًا ؟!

أطلق (نور) شهقة مفاجئة هذه المرة ، مما أجبره على الالتفات إليه ، وهو يصرخ :

ـ هل .. هل عثرت على شىء ؟!

هتف به (نور) ، فى صوت يحمل انزعاج الدنيا كلها :

ـ شىء بشع .. بشع للغاية !

وثب (أكرم) نحوه بكل انفعاله ، ورآه يشير إلى شىء يختفى وسط الأوراق الجافة ، وهو يقول فى توتر بلا حدود :

ـ لقد كان مختفيًا بين الأوراق ، فلم أنتبه إليه إلا فى هذه اللحظة .

مال (أكرم) ليلقى نظرة على ما يشير إليه (نور) ، ولم يكد يفعل حتى سرت فى جسده انتفاضة قوية ، وصرخت معدته ، وكأنما ترغب فى إفراغ كل ماتحتويه ، وهو يهتف :

ـ يا للبشاعة !

فذلك الشىء كان طرف حذاء جلدى محترق ، بداخله بقايا قدم بشرية ، اسودت أطرافها بفعل نيران هائلة ، التهمت جسد صاحبها كله على الأرجح ، فلم تترك منه سوى هذا ..

وبكل التوتر والانفعال ، هتف (أكرم) :

ـ كيف حدث هذا ؟!

أجابه (نور) فى توتر أكثر :

ـ الشىء الذى أذاب مدفع هـذا المسكين ، بخَّر معه جسده كله ، وهـذا يعنى أن شيئًا يطلق حرارة هائلـة ، لايمكن لعقولنا تصوُّرها .

اتسعت عينا (أكرم) فى ارتياع ، وبـدا كـالمصعوق ، وهو يفحص الأرض حوله فى ذعر ، هاتفًا :

ـ رباه ! (مشيرة) .. (سلوى) .. (نـ ...

هب (نور) ، صائحًا فيه فى صرامة :

إياك أن تنطقها .

إلا أنـه لم يستطع منـع نفسـه مـن التلفُّت حولـه بدوره ، وهو يستطرد فى عصبية شديدة :

ـ إنهم هنا فى مكان ما .. أحياء .

صاح به (أكرم) فى غضب :

ـ وكيف يمكنك الجزم ؟!

صاح (نور) :

ـ أنا واثق من هذا .

اندفع (أكرم) نحوه ، هاتفًا فى حدة :

ـ وما مصدر ثقتك هذه ؟!

قالها ، وهو يطوّح قبضتـه نحو فك (نـور) ، الذى تراجع متفاديًا اللكمة ، وهـو يهتـف فـى دهشـة عصبية :

ـ رويدك يا رجل ! لست خصمك هنا .

خُيِّل إليه أن (أكرم) لم يسمعه ، وهو ينقض عليه فى عنف ، ويقبض على سترته فى غضب ، صائحًا :

ـ أنت المسئول عن كل هذا .. أنت الذى أتيت بهم إلى هذا الجحيم .. أنت الـ ...

قبل أن يتمّ عبارتـه ، هوى (نـور) على معدتـه بلكمة كالقنبلة ، شهق لها (أكرم) فى عنف ، وانثنى معها جسده فى زاوية قائمـة ، فاحتواه (نـور) بين ذراعيه ، هاتفًا :

- مخرزة ياصديقى .. مخرزة .. كانت هذه هى الوسيلة الوحيدة لإخراجك من حالة الغضب الجنونى هذه .

لهث (أكرم) فى شدة، وهو يردّد :

- الغضب الجنونى ؟!

ثم رفع عينيه إلى (نور)، متسائلاً فى حيرة متوترة:

ماذا فعلت يا (نور) ؟! ماذا فعلت ؟!

أجابه (نور) ، وهو يعاونه على الاعتدال :

- كنت غاضبًا بشدة، واتهمتنى بأننى المسئول عن كل ما يحدث ، ثم حاولت لكمى ، و ...

قاطعه (أكرم)، بصرخة تحمل كل دهشة واستنكار الدنيا :

- أنا ؟!

قالها ، ورفع يده إلى جبهته ، مستطردًا فى توتر شديد :

- رباه ! لست أذكر شيئًا من هذا قط .. لقد كنت أحدق فى بقايا القلم والحذاء المحترقين، عندما فوجئت بك تلكمنى فى معدتى بقوة ! رباه ؟ لست أذكر أننى قد هاجمتك .

انعقد حاجبا (نور) ، وعاد يتلفّت حوله ، مغمغمًا فى عصبية :

- إنه يحاول السيطرة على عقولنا .. يحاول دفعنا إلى قتل بعضنا بعضًا .

هتف (أكرم) وهو يلتقط مسدسه ، الذى سقط من يده ، مع لكمة (نور) :

- لاينبغى أن تسمح له بهذا يا (نور)، حتى ولو ...

قبل أن يتم عبارته ، أو تبلغ أصابعه مسدسه، حدث بغتة ذلك الأمر الرهيب ..

يد سوداء جافة ، أشبه بيد جثة دفنت منذ زمن طويل، اندفعت من قلب الأرض ، ومن بين الأوراق الجافة والطين الرطب ، لتقبض على معصمه بأصابع كالفولاذ ..

وعلى الرغم منه ، انطلقت من حلق (أكرم) صرخة ذعر :

- (نور) .. النجدة .

حدّق (نور) فى ذهول فى تلك اليد المعروقة السوداء ، التى جذبت (أكرم) إلى الأرض فى قوة ، وكأنها تسعى لسحبه معها فى أعماقها ، ثم استلّ مسدسه الليزرى فى سرعة ، وهو يصرخ :

- تماسك يا (أكرم) .. تماسك .

أطلق أشعة مسدسه الليزرى نحو تلك اليد السوداء مرة ..

و ثانية ..

و ثالثة ..

وفى كل مرة ، كانت تلك اليد تتألق أكثر ..

و أكثر ..

و أكثر ..

الضوء المنبعث منها صار يغشى الأبصار ، وكأنها تختزن طاقة أشعة مسدس (نور) كلها ، ثم تطلقها على هيئة ضوء مبهر ..

ولكنها لم تتوقّف عن جذب (أكرم) ، الذى راح يقاوم فى استماتة ، وقد التصق كتفه بالأرض فعليًا ، وراح يغوص فيها على نحو مؤلم ..

وبحركة معقّدة ، تحتاج إلى مرونة قصوى ، مال (أكرم) على ظهره ، وأدار يده الحرة ، وصرخ من شدة الألم ، وهو يجبرها على اتخاذ زاوية تشريحية مستحيلة ، قبل أن يلتقط بها مسدسه ، ثم يعود إلى وضعه الأوّل ، ويلصقه بمعصم تلك اليد السوداء المعروقة ، التى تواصل جذبه بقوة وهو يصرخ :

- تُرى هل ستضىء بهذا أيضًا أيها الوغد ؟!

قالها ، وضغط زناد مسدسه ، لتنطلق منه الرصاصات فى سخاء ، مخترقة المعصم الأسود الجاف و(أكرم) يؤازرها بصرخات عالية ، يفرغ بها وفيها كل توتّره وانفعاله ..

وعلى وجهه تناثر سائل أسود ساخن لثوان ، قبل أن ينفصل المعصم دفعة واحدة ، فيتراجع جسد (أكرم) كله ، ليسقط على ظهره ، على بعد متر واحد ، ويلهث فى عنف ، صارخًا :

- فعلتها .. فعلتها يا (نور) .. مزّقت ذلك الوغد .

تلاشى ضوء اليد ، التى مازالت أصابعها تقبض على معصم (أكرم) ، فى سرعة ، فى حين انسحب الجزء الآخر منها داخل الأرض ، واختفى فيها ، تاركًا خلفه بركة صغيرة من سائل أسود لزج سميك ، يشبه ذلك الذى تحولت إليه دماء الدكتور (مينا) ، بعد أن لدغه ذلك العقرب الوهمى(*) ..

وفى توتر بالغ ، نقل (نور) بصره بين البقعة السوداء ، واليد المقطوعة ، التى مازالت حول معصم (أكرم) ، الذى نهض هاتفًا فى انفعال :

- فعلتها .. مرة أخرى أثبت أن الرصاصات أكثر جدوى من أشعة الليزر .. أرأيت يا (نور) .. أرأيت ؟!

(*) راجع قصة (فودو) .. المغامرة رقم ١٣٥

أجابه (نور) فى صرامة عصبية :

- أرأيت أنت أن مايحيط بمعصمك لم يعد حتى يشبه أى يد ؟!

رفع (أكرم) معصمه إلى وجهه بحركة حادة ، وانطلقت من حلقه شهقة مكتومة ، وهو يحدّق فى مجموعة من الأغصان الجافة القديمة ، تلتف حول معصمه ، فهتف فى عصبية ، وهو يحاول انتزاعها فى عنف :

- أى عبث شيطانى هذا ؟!

التقى حاجبا (نور) فى غضب هادر ، وهو يدير عينيه فيما حوله ، ثم يرفعهما فى التفافة عالية طويلة ، قبل أن يصرخ :

- ماذا تريد منا ؟!

هتف به (أكرم) منزعجًا :

- (نور) .. ماذا أصابك ؟!

صرخ (نور) مرة أخرى ، وهو يحدّق فى قمم الأشجار العالية :

- ماذا تريد منا ؟!

انطلقت صرخته ، كما لو أنها تشقّ طريقها وسط ذلك الظلام الشيطانى ، وتتجاوز قمم الأشجار ، لتتحوّل إلى نغمة تنبعث من مشهد متكامل للأحراش ، مطبوع على رقعة جلدية كبيرة ، معلّقة على أحد جدران ذلك المعبد الفرعونى المزدوج ، وحولها عظام بشرية ، وحلى خاصة بعقيدة (الفودو) ، وأسفلها تلك الجمجمة غير البشرية ، وأمامها يقف ذلك الكاهن الرهيب ، بعينين تتألقان على نحو شيطانى عجيب ، وكأنما يستمتع بكل حرف غاضب صرخ به (نور) ..

وفى بطء انحنى يلتقط تلك الجمجمة ، وتطلّع إلى عينيها بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يرفعها بيده عاليًا ، ويتضاعف تألّق عينيه بشدة ، ثم تنبعث من بين شفتيه كلمات عجيبة ..

كلمات لا تشبه أية لغة معروفة ، على كوكب الأرض كله ..

أو حتى أية لغة عرفها التاريخ القديم ..

كلمات ، بدا من قوتها وكأن جدران المعبد كله ترتجف معها ..

كلمات غاصت وسط رقعة الجلد المطبوعة ، لتنهمر من قمم الأشجار ..

ومع انهمارها ، راحت كل الأشجار المحيطة بـ (نور) و(أكرم) تتألّق ..

وتتألّق ..

وتتألّق ..

وهتف (أكرم) وهو يدير مسدسه فيما حوله ، فى عصبية بالغة :

ـ ماذا يحدث الآن ؟!

دار (نور) حول نفسه بدوره ، وهو يهتف :

ـ يمكنك أن تتوقّع أى شىء .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، مع إضافته :

ـ أى شىء .

مع آخر حروف كلماته ، تموجت كل الأشجار المحيطة بهم ، كما لو أنها صور تهتز على سطح الماء ، فغمغم (أكرم) ، بكل عصبية الدنيا :

ـ والآن ماذا ؟!

فى اللحظة التالية مباشرة لقوله ، حدث ذلك الأمر ..

لقد كان (نور) و(أكرم) يتوقعان حدوث أى شىء فى الدنيا ، حتى أكثر الأمور عجبًا .

ولكن ليس ما حدث بالفعل ..

فما حدث كان مذهلاً ..

ورهيبًا ..

ومخيفًا ..

إلى آخر مدى ..

★ ★ ★

فجأة انتفضت (سلوى) فى قوة ، وهى تستعيد وعيها ..

وما إن فعلت ، وفتحت عينيها ، حتى انطلقت من حلقها شهقة رعب قوية ..

ليس لأنها قد رأت ما فجّر رعبها ، ولكن لأنها لم تر شيئًا ..

على الإطلاق ..

لقد كان يحيط بها ظلام دامس رهيب ، لم تر فى عمرها كله ما هو أشد منه حلوكة وإظلامًا ..

وكانت مقيّدة المعصمين برباط رطب لزج ، إلى عمود من الخشب ونقاط من سائل بارد كالثلج تتساقط على رأسها وكتفيها ..

وعلى الرغم من هذا ، فلم تكد تطلق شهقتها حتى سمعت صوت (نشوى) ، على مسافة قريبة منها ، تهتف فى لهفة :

ـ أمى .. هل استعدت وعيك ؟!

حاولت بكل جهدها أن تخترق ذلك الظلام الدامس الرهيب ، وهى تهتف :

- (نشوى) .. أأنت هنا يا بنتى ؟!

أتاها صوت الدكتور (حجازى)، يقول فى عصبية :

- كلنا هنا يا (سلوى) .

وأضاف (رمزى) فى توتر بالغ :

- كنا كلنا هنا ، حتى أخذوا الدكتور (رمسيس) .

سألته فى خوف ، ضاعفه الظلام الرهيب :

- من أخذوه ؟! ولماذا ؟!

أجابها الدكتور (عبادة) ، بصوت أقرب إلى البكاء :

- لسنا ندرى .. إننا لم نر شيئاً .. ولسنا ندرى حتى كيف أمكنهم هم أن يروا ، ولا ما طبيعتهم ..

وبدا وكأنه انخرط فى البكاء بالفعل لبضع لحظات ، قبل أن يتابع ، فى صوت أقرب إلى الانهيار :

- لسنا ندرى حتى إذا كانوا بشراً أم مجرَّد وحوش ، كتلك التى كادت تفتك بنا ، فى قلب الأحراش ..

وانتحب لحظة ، قبل أن يضيف فى ذعر مرير :

- لقد سمعنا وقع أقدامهم الثقيلة ، وهم يدخلون إلى هنا فى قلب الظلام ، ثم سمعنا الدكتور (رمسيس) يصرخ ، ويناشدهم تركه بيننا ، ولكنهم سحبوه فى قسوة إلى الخارج ، وهو يصرخ .. ويصرخ .. ويصرخ .. حتى تلاشى صوته بعيداً .

ارتجف جسدها وصوتها ، وهى تتساءل فى هلع :

- تُرى ماذا فعلوه به ؟!

أجابها أحد المقاتلين ، اللذين تبقيا على قيد الحياة :

- إنه لم يعد أبداً .

ارتجف جسدها بعنف أكثر ، مع المغزى الواضح لعبارته ، وغمغمت فى رعب سيطر على كل مشاعرها ، وسط ذلك الظلام الدامس للغاية :

- رباه ! ماذا سيفعلون بنا ؟!

ثم تذكَّرت زوجها فجأة ، فهتفت :

- ولكن أين (نور) ؟!

أتاها صوت (مشيرة) ، وهى تبكى بحرقة وسط الظلام ، قائلة :

- (نور) و(أكرم) لم يعودا .. والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، ما إذا كانا على قيد الحياة ، أو حتى يعرفان أين نحن !

هتفت (سلوى) فى ارتياع بلا حدود :

- لا .. لايمكن أن نفقدهما .. مستحيل !

قال المقاتل الآخر ، فى ألم ومرارة :

- كان المفترض أن نحمى الجميع ياسيدتى ، ولكننا سقطنا معكم .. حتى ذراعى ، أشعر وكأنها تنفصل عن جسدى ، من فرط الألم والعذاب ، ومن المؤكد أنها عادت تنزف بغزارة ، على الرغم من الضمادات المحيطة بها ؛ فأنا أشعر بالدماء الساخنة تسيل على أصابعى .

قال الدكتور (حجازى) بكل توتر :

- لقد فعلتم كل ما بوسعكم يارجل .. كلنا لن ننسى أبدًا شجاعة زميلكم ، الذى دافع عنا بحياته ، قبل أن يحترق مع سلاحه ، على ذلك النحو البشع .

تنهّد المقاتل ، وقال فى مرارة :

- وبِمَ أفاد هذا .

هتفت (سلوى) :

- المهم الآن هو أين (نور) و(أكرم) .. ماذا أصابهما ؟! ماذا حدث لهما ؟!

صاح الدكتور (عبادة) فى غضب عصبى :

- أتفكرين فى (نور) و(أكرم) الآن ، ونحن نواجه الموت فى كل لحظة ؟!

صاحت به (سلوى) فى غضب :

- ليس الموت وحده .. إننا نواجه الأنانية والسلبية أيضًا يا دكتور (عبادة) .

هتف بها الدكتور (حجازى) فى صرامة :

ـ هذا ليس وقت الصراعات الشخصية .

قال الدكتور (عبادة) فى عصبية :

ـ مرها إذن بـ ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، عندما التقطت أذناه وقع تلك الأقدام الثقيلة ، التى اقتحمت المكان فى غلظة ، وراح جسده يرتجف فى رعب ، وهو يتمتم :

ـ أرجوكم .. ليس أنا .. ليس أنا .

كان الوحيد الذى لخترق صوته الظلام ، فبخلاف وقع الأقدام الثقيلة ، حبس الكل أنفاسهم ، وقد اشترك الظلام والخوف فى صنع ارتجافة عجيبة ، شملت أجسادهم كلها ، من قمم رءوسهم ، وحتى لأخامص أقدامهم ، وكل منهم يتساءل بكل قلق الدنيا : من الضحية التالية ؟!

من ؟!

ثم فجأة ، انطلقت صرخة رعب ، ترج المكان كله :

ـ لا .. لا ..

فى تلك اللحظة فقط ، علم الكل من الضحية الجديدة ..

وكانت لحظة رهيبة ..

بحق .

* * *



٦ ـ المجهـول ..

رسم وزير خارجية تلك البلد الإفريقى علـى شفتيه، بصعوبة بالغة، ابتسامة كبيرة، وهو يستقبل السفير المصرى فى مكتبه، ويدعوه إلى الجلوس، قائلاً :

ـ مرحبًا بك كثيرًا هنا يا سيادة السفير ؛ فقليلة هى المرات التى جمعتنا معًا، منذ تسلمت عملك فى بلادنا .

ابتسم السفير المصرى ابتسامة مدروسة، وهو يقول :

ـ هذا من سوء حظى يا سيادة الوزير .

شعر وزير الخارجية الإفريقى بالإرهاق، من اضطراره لحمل هذه الابتسامة الكبيرة، فقال فى ضجر متوتر :

ـ مطالبك يا سيادة السفير .

أجابه السفير فى سرعة، وكأنما كان ينتظر السؤال منذ البداية :

ـ بعثتنا .

لم يستطع الوزير حمل ابتسامته أكثر من هذا، فتركها تتهاوى وسط ملامحه المتجهمة، وهو يقول فى صرامة :

ـ بعثتكم تعرّضت لحادث متوقّع، فكل مخلوق هنا يدرك خطورة الاقتراب من (أرض الأرواح الخالدة) وليس لدى أدنى شك فى أن مخابراتكم العلمية قد نهشت الأمر فحصًا وتمحيصًا، وأنكم قد صوّرتم المنطقة ألف مرة على الأقل، بوساطة أقماركم الصناعية الراصدة، مما يجعلك تدرك تمامًا حقيقة ما أقوله .

تجاهل السفير كل هذه المحاضرة، وهو يقول فى هدوء :

ـ بلغنا رسميًا أنكم قد أرسلتم فريق بحث خاصًا .

قال الوزير فى سرعة وعصبية :

ـ هذا صحيح .

ابتسم السفير ابتسامة العارف ببواطن الأمور ، على نحو أثار أعصاب الوزير أكثر ، وجعله يضيف فى حدة :

ـ ولدى كل ما يثبت هذا .

فتح السفير حقيبته دون تعليق ، والتقط منها ورقة تحمل خاتم رياسة الجمهورية في (مصر) وناول الوزير إياها ، الذى التقطها ، قائلاً فى عصبية :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

أجابه السفير المصرى فى هدوء شديد :

ـ طلب رسمى من حكومتى ، بانضمام اثنين من رجال أمننا إلى فريق بحثكم .

انعقد حاجبا الوزير فى شدة ، وهو يقول فى حنق :

ـ مستحيل !

سأله السفير بنفس الهدوء :

ـ ولماذا مستحيل ياسيادة الوزير ؟! المفترض ، وفقًا لآخر قرارات مؤتمر وزراء الداخلية والأمن الأفارقة ، أنه هناك تعاون قانونى وأمنى بيننا ، يسمح لنا بـ ..

قاطعه الوزير فى عصبية شديدة :

ـ هذا الأمر يختلف .

سأله السفير فى هدوء ، تسللت إليه نبرة صارمة :

ـ فيم ؟!

هبَّ الوزير من مقعده ، وبدا ثائرًا إلى الحد الأقصى ، وهو يصرخ :

ـ فى أنه يمس معتقدات وطنية قوية .

لم تبد على السفير لمحة واحدة من التأثُّر ، وهو يقول :

ـ سيِّدى الوزير ، بحكم منصبك ، لايمكنك أن تجازف بالعلاقة بين دولتين ، لسبب بسيط كهذا .

صرخ الوزير فى حدة :

ـ سبب بسيط ؟!

اندفع طاقم الأمن المسئول عن حمايته إلى الحجرة ، شاهرين أسلحتهم ، وقد تصوَّروا أنه يواجه خطرًا ما ، فصاح فيهم غاضبًا :

ـ من دعاكم للدخول ؟! انتظروا بالخارج .. هيا .

بدت دهشة حائرة على وجوه الرجال ، فصرخ فى غضب أكثر :

ـ فى الخارج .

ابتسم السفير المصرى ، عندما تسارع الرجال إلى الخارج فى فزع ، وقال ، دون أن يفقد هدوءه العجيب :

ـ الرجال يحاولون حمايتك فحسب .

قال الوزير فى حدة :

ـ كان الأوفق أن آمرهم بإطلاق النار عليك .

ضحك السفير ، قائلاً :

ـ كان هذا سيتسبَّب فى أزمة دبلوماسية حتمًا .

خففت الضحكة والدعابة من توتر الموقف بعض الشىء ، فعاد الوزير يجلس على مقعده ، ويلتقط نفسًا عميقًا لتهدئة أعصابه ، قبل أن يقول :

ـ المعتقدات المحلية لدينا أمر لا يمكنكم فهمه أو استيعابه فى (مصر) ؛ فقد اعتدتم هناك الارتباط بعقائدكم ورموزكم الدينية وحدها ، أما هنا ، فالناس تنشأ على معتقدات أسطورية ، آمن بها الأقدمون إيمانًا عميقًا ، حتى صارت جزءًا من تكوينهم ، والمساس بها من قريب أو بعيد ، قد يسبِّب كارثة ، لا يعلم مداها إلا الخالق وحده .

مال السفير نحوه ، وقال :

ـ عظيم .. يمكننا إذن أن ندس واحدًا من رجال أمننا فحسب ، وسط فريق البحث ، الذى يجوب الأحراش خلف بعثتنا المفقودة ، دون أن نعلن من هذا ، أو نفصح حتى عن هويته .

ثم تراجع بابتسامة لم ترق للوزير أبدًا ، وهو يستطرد :

- بهذا نتفادى المشكلة .

رمقه الوزير بنظرة طويلة صامتة ، قبل أن يغمغم :

- بالتأكيد .

ثم نهض معلنًا نهاية المقابلة ، وهو يمدّ يده للسفير المصرى ، قائلاً فى حزم :

- سأتشاور مع معاونىّ ، وأعرض الأمر على سيادة الرئيس ، ثم نبلغكم ردنا الرسمى ، فى أسرع وقت ممكن .

لم يتبادلا كلمة إضافية ، حتى انصرف السفير المصرى ، فجلس وزير الخارجية بضع دقائق مفكرًا ، قبل أن يضغط أزرار هاتف الفيديو الخاص على مكتبه ، ولم يكد يرى وجه وزير الداخلية على شاشته ، حتى قال فى توتر :

- إنهم يعلمون أننا لم نرسل فريق بحث حقيقيًا .

سأله وزير الداخلية فى اهتمام شديد :

- المصريون ؟!

أومأ وزير الخارجية برأسه إيجابًا ، ثم قال فى عصبية :

- سفيرهم غادر مكتبى منذ لحظات ، ولقد أتى ليضعنا فى موقف حرج ، حتى نضطر إلى إرسال فريق بحث فعلى ، أو الاعتراف بأننا لن نفعل هذا أبدًا .

تراجع وزير الداخلية فى مقعده ، وبدا شديد التوتر ، وهو غارق فى تفكير عميق ، قبل أن يقول فى صرامة :

- لابد أن ينتهى هذا الأمر بأسرع وقت ممكن .

زفر وزير الخارجية ، وقلب كفيه ، قائلاً :

- ومن يملك أمرًا كهذا ؟!

قال وزير الداخلية فى عصبية :

- أبلغه بما يحدث .. اذهب إليه ، وأبلغه .

صاح وزير الخارجية :

- هذا ليس سهلاً .

واستطرد فى مرارة :

- ثم من قال : إنه يبالى ، حتى ولو أشعلوا فينا النار جميعًا ؟!

وأسقط فى أيديهما معًا ..

فالموقف ، بالنسبة لهما ، كان عسيرًا ..

عسيرًا بحق ..

* * *

من المؤكد أن ما حدث هناك ، فى أعماق تلك الأحراش الرهيبة ، كان أمرًا خارقًا للمألوف بكل المقاييس ..

أمر لايمكن أن يقبله العلم ..

أو العقل ..

أو المنطق ..

فأمام عيون (نور) و(أكرم) ، تموّجت كل الأشجار المحيطة بهم ، وهى تتألق بضوء فسفورى قوى ..

ثم فجأة ، خبا ضوؤها أو كاد ..

وتحركت ..

نعم .. الأشجار تحوّلت إلى أجسام نباتية متحركة ، كما لو أن الحياة قد دبّت فى جذوعها وأغصانها فجأة ، واتجهت كلها نحو (نور) و(أكرم) ..

ومن كل الاتجاهات ..

وبكل انفعاله ، راح (أكرم) يطلق النار على الأشجار المتحركة ، وهو يصرخ :

- لا .. مستحيل ! مستحيل !

وبحركة غريزية ، ألصق ظهره بظهر (نور) ، كعادتهما كلما واجها خطرًا بلا حدود ، ثم راح كل منهما يطلق مسدسه فى غزارة ، وهما يدوران حول بعضهما ..



وبحركة غريزية ، التصق ظهره بظهر (نور) ، كعادتهما كلما واجها خطرًا بلا حدود ..

والعجيب أن الأشجار لم تتألق هذه المرة ، بتأثير أشعة مسدس (نور) الليزرى القوى ..

وأيضًا لم تسقط ..

لقد أصابتها خيوط أشعة (نـور) ، ورصاصـات (أكرم) ، وتركت فيها عشرات الثقوب والفجـوات المحترقة ..

ولكنها لم تسقطها ..

وفى بطء مخيف ، راحت تقترب منهما ..

وتقترب ..

وتقترب ..

وفى عصبية يائسة ، هتف (أكرم) :

ـ رصاصاتى شارفت على النفاد بلا طائل .

غمغم (نور) فى عصبية مماثلة :

ـ وطاقة مسدسى أيضًا .

لم يكد ينطقها ، حتى انعقد حاجباه فى شدة ، وتوترت كل خلية فى جسده ، وتطلع إلى مسدسه فى تركيز عجيب ، قبل أن يخفضه ، قائلاً فى صرامة :

- إنه يعبث بنا .

هتف به (أكرم) ، فى عصبية شديدة :

- ماذا ؟!

صاح (نور) بكل قوته :

- إنه يعبث بنا .

ثم أعاد مسدسه إلى غمده ، واتجه نحو إحدى الأشجار مباشرة ، وعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يوليها ظهره ، مواصلاً :

- إنه لايسعى لقتلنا .. لو أرادها لفعلها منذ البداية .. إنه يعبث بنا وبمخاوفنا فحسب .

صاح (أكرم) فى ارتياع ، والشجرة الحية تواصل تقدمها نحو (نور) ، وتفرد أغصانها ، وكأنما تهمّ باقتناصه :

- (نور) .. هل جننت ؟!

انتزع (نور) مسدسه الليزرى مرة أخرى ، وهتف :

- هل ترى هذا المسدس ، الذى أطلق أشعته على كل شىء ، منذ واجهنا الخطر هنا ؟! إنه يختلف تمامًا عن مسدسك .

اتسع عينا (أكرم) فى رعب ، والشجرة الحية تفرد أغصانها على جانبى جسد (نور) بالفعل ، واندفع نحوه صائحًا :

- استعد وعيك ياصديقى .. ليس هذا وقت عقد المقارنات بين سلاحينا .

تابع (نور) بنفس القوة والصرامة ، وكأنما لم يعد يشعر بأى شىء مما يحدث من حوله :

- مسدسك يعتمد على آلية ميكانيكية ، يجرى تطويرها ، منذ نهاية القرن الثامن عشر ، أما مسدسى ، فهو جهاز إليكترونى متكامل ، مهمته إنتاج كمية محدودة من الضوء ، ثم استغلال كل طاقتها فى شعاع واحد من الليزر .

بدأت الأغصان القوية تلتف حول جسد (نور) بالفعل ، فصاح (أكرم) مذعورًا :

ـ (نور) .. ابتعد يا صديقى .. ابتعد بالله عليك .

ولكن (نور) بدا وكأنه قد غرق بمشاعره كلها فيما يقوله ، حتى لم يعد يشعر بما يحدث حوله ، وهو يتابع فى صرامة وقوة وانفعال :

ـ ووفقًا لما أصاب كل المعدات والأجهزة الإليكترونية الأخرى ، كان ينبغى أن يتعطَّل هذا المسدس أيضًا ، ولكن هذا لم يحدث .

ثم لوَّح بالمسدس ، مستطردًا فى حدة :

ـ فما الذى يمكن أن يعنيه هذا بالضبط ؟!

أحاطت به الأغصان القوية فى هذه اللحظة ، وانتزعته من الأرض فى قوة ، فصرخ (أكرم) فى ارتياع ، وهو يطلق رصاصات مسدسه الأخيرة عليها فى غزارة :

ـ لا .. ليس (نور) .. ليس (نور) .

ولكن (نور) صرخ فى قوة :

ـ لاتجعل هذا يفزعك .. إنه مجرَّد وهم .. خداع .. الغرض الوحيد منه هو تحطيم أعصابنا و ...

ولكنه أدرك بغتة أن نظريته ليست صحيحة على الإطلاق هذه المرة ..

فلقد أحاطت به الأغصان القوية ، واعتصرته إلى جذع الشجرة بطاقة رهيبة ، كاد صدره يتحطَّم معها ، فصرخ :

ـ آه .. لا .. لا يمكن أن يكون هذا حقيقيًا .

صرخ (أكرم) بدوره :

ـ ليس (نور) .. يا إلهى ! ليس (نور) .

كان قد أطلق آخر رصاصة ، فى آخر خزانة لمسدسه ، لذا فلم يجد أمامه سوى أن يعيد مسدسه إلى غمده ، وأن يقفز محاولاً تخليص (نور) من تلك الشجرة الحية ، التى تكاد تسحقه فى جذعها ..

ولكن فجأة ، أحاطت به أغصان قوية أخرى ..

وبكل قوته وانفعالاته راح (أكرم) يقاتل ، ويقاوم باستماتة ، وتلك الأغصان القوية تعتصر جسده ، وتخنق أنفاسه أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وأمام عينيه الزائغتين ، شاهد (نور) يفقد الوعى ، بين أغصان الشجرة الأخرى ، فصاح :

ـ لا .. ليس (نور)

ثم أظلمت الدنيا كلها أمام عينيه ، وهوى عقله فى بئر عميقة ..

بلا قرار ..

* * *

« ترى من التالى ؟! »

ألقى الدكتور (حجازى) السؤال بصوت مرتجف ، عجز عن كتمان انفعالاته ، وسط ذلك الظلام الدامس ، والرائحة الرطبة المتزايدة ، وذلك السائل المثلج اللزج ، الذى يتساقط على أجسادهم طوال الوقت ، فغمغم (رمزى) فى صوت حاول أن يجعله رصينًا هادئًا ، إلا أنه خرج ، على الرغم منه ، بطيئًا مرتعدًا :

ـ أظنه أنا ؟!

هتفت (نشوى) فى ارتياع :

ـ لا يا (رمزى) .. لا تقل هذا .

بذل جهدًا أكثر ؛ للسيطرة على مشاعره ، وهو يقول :

ـ للأسف ، إنه الترتيب المنطقى يا زوجتى العزيزة .. لقد أخذوا الدكتور (رمسيس) بساقه المكسورة ، وإصابات فخذه أولًا ، ثم الدكتور (عبادة) بساقه الممزقة ، وتلاه ذلك المقاتل بذراعه النازفة ، فما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) بصوت خافت بائس :

ـ أنهم يفضلون المصابين .

غمغم المقاتل المتبقى :

ـ أو أنهم كالوحوش المفترسة .

سألته (سلوى) فى رعب :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابها فى خفوت :

ـ تجتذبهم رائحة الدم .

صرخت (مشيرة) فى رعب :

ـ أتعنى أنهم .. أنهم ..

لم تستطع إتمام عبارتها ، فأكملها الدكتور (حجازى) بصوته المرتجف ، الذى يحمل كل أمارات الإجهاد والتعب والانفعال :

ـ أكلة لحوم بشر ! نعم .. هذا احتمال وارد ، فى منطقة تحكمها عقائد سحرة (الفودو) ..

منعهم الظلام من رؤية شحوب وجه (نشوى) الشديد ، وإن اشتموه فى نبرات صوتها ، وهى تقول :

ـ لايمكن أن تنتهى حياتنا فى بطون شرذمة من المتوحشين البدائيين .. لايمكن .

غمغم الدكتور (حجازى) فى مرارة :

ـ منذ بدأنا هذا الأمر ، أصبح كل شىء ممكنًا يا بنيتى .

ارتجف صوت (سلوى) بشدة ، وهى تقول :

ـ لايمكن أن تبلغ الأمور هذا الحد .

قالت (مشيرة) فى انهيار :

ـ لقد بلغته بالفعل أيتها العبقرية .

صاحت (سلوى) :

ـ مستحيل ! (نور) سينقذنا فى اللحظة الأخيرة ، كما يحدث دومًا .

أطلقت (مشيرة) ضحكة عصبية عالية ، بدت مقيتة للغاية فى قلب الظلام ، قبل أن تهتف :

- ومن أدراك أن (نور) لم يكن وجبتهم الرئيسية اليوم، قبل أن يصنعوا من زملائنا بعض الحلوى والمشهيات ؟!

صرخت فيها (سلوى):

- اخرسى.

وهتفت (نشوى):

- لاتنسى أن زوجك قد اختفى مع (نور).

انفجرت (مشيرة) باكية فى مرارة، وهى تصرخ:

- ومن قال: إن زوجى قد نجا ؟! من يتصوَّر أن أحدًا منا سينجو من هذا الجحيم الرهيب ؟! لو لم تلاحظوا، دعونى أفتح عيونكم على الواقع .. إنها نهايتنا أيها السادة .. نهايتنا جميعًا.

ارتفع صوتها، وهى تبكى وتنتحب فى شدة، فغمغم (رمزى) فى قلق:

- يا للمسكينة ! إنها تحتاج إلى مساعدة، فهى على وشك الإصابة بانهيار عصبى شامل !

غمغم المقاتل الأخير :

- لاتقلق نفسك أيها الخبير النفسى .. لن يزعجها هذا طويلاً .

هتف (رمزى) فى صرامة :

- لا تردد هذا على مسامعها .

لم يكد يتمّ عبارته، حتى سمع الجميع وقع تلك الأقدام الثقيلة الغليظة، وهى تقتحم المكان، فصرخت (مشيرة):

- ليس أنا .. ليس أنا .

واتسعت عيون (سلوى) و(نشوى) فى رعب، فى حين انكمش الدكتور (حجازى) على نفسه، وارتجف جسد (رمزى)، وتوترت كل خلية فى جسد المقاتل ..

ولأنه يؤمن تمامًا باستنتاجاته، كان (رمزى) واثقًا من أنه الضحية التالية ..

والمؤسف أن استنتاجه كان صحيحاً تمامًا ..

لقد أحاطت به تلك الأقدام الثقيلة ، وشعر بخمس أو ست أياد تحل قيوده ، وتشل حركته ، و(سلوى) تصرخ وسط الظلام :

ـ ليس أنت يا (رمزى) .. أليس كذلك ؟! ليس أنت ..

انفعاله وكرامته منعاه من أن ينبس بحرف واحد ، وتلك الأيدى القوية تكبله ، وتنتزعه من مكانه ، وتدفع به خارج المكان ، و(سلوى) تواصل صراخها ، الذى سيطرت عليه نبرات الرعب :

ـ أجب يا (رمزى) .. أجب بالله عليك .. (رمزى) .. (رمزى) ..

تباعد صوتها ، وامتزج بدموعها ، وهم يدفعونه عبر ممر طويل مظلم ، ويغلقون بابًا ثقيلاً خلفهم ، ثم يواصلون دفعه نحو بقعة فى ضوء خافت ، بدت من بعيد ..

بعيد جدًا ..

ولكن فجأة ، سطع ضوء قوى ، أغشى بصره تمامًا ، بعد طول بقائه وسط الظلام الدامس ، فهتف فى توتر :

ـ ماذا تفعلون بى ؟!

لم يجب أحد سؤاله ، وإن توقف الكل دفعة واحدة ، وابتعدت كل الأيدى عنه ، وسمع همهمة متضاربة من حوله ، فأغلق عينيه فى قوة ، ثم فتحهما فى بطء وحذر ، وانتظر بضع لحظات ، حتى اعتادتا الضوء ، فتطلع إلى ما أمامه ، و ...

وعلى الرغم من الضوء القوى ، اتسعت عيناه عن آخرهما فى ذهول ..

فما رآه أمامه كان مذهلاً ..

وبكل المقاييس .

* * *

٧ ـ قبضة الشيطان ..

فجأة ، استعاد (نور) وعيه ..

وبحركة حادة ، اعتدل جالسًا ، وحدّق فيما حوله بتوتر بالغ ، ويده تثب نحو مسدسه الليزرى بحركة غريزية ..

واتسعت عيناه فى دهشة وحيرة ..

لقد كان سليمًا معافى ، دون خدش واحد ..

حتى ذلك الجرح فى جبهته التأم تمامًا ، ودون أن يترك حتى أدنى أثر ..

مسدسه الليزرى كان فى غمده ..

و(أكرم) ملقى على بعد أمتار قليلة منه ..

وبسرعة ، اندفع نحو (أكرم) ، يفحصه فى قلق ..

ولكنه كان أيضًا سليمًا معافى ..

هو فقط فاقد الوعى ..

حتى مسدسه ، كان فى غمده ..

والأعجب أن خزانته كانت محشوة بالرصاصات ..

رصاصات سليمة ، صالحة للاستعمال ..

وبكل حيرة الدنيا ، نهض (نور) ، وراح يدير عينيه فيما حوله ..

إنهما لم يعودا داخل ذلك الممر الضيق ، الذى يمتدّ وسط الظلام إلى ما لا نهاية ..

لقد انتقلا بوسيلة ما إلى ساحة كبيرة ، تحدّها نباتات ضخمة ، تبدو أضخم كثيرًا مما يذكره فى دراساته أيام المرحلة الثانوية ..

ولم تكن هناك أية أشجار ..

ومن بعيد ، سمع خريرًا كخرير المياه فى نبع صغير ..

ولمح وهجًا متراقصًا ..

ولدقيقة أو يزيد ، ظلّ (نور) صامتًا ، ساكنًا ، يتطلّع إلى البقعة التى يبدو عندها الوهج ، متسائلاً عما يمكن أن يعنيه .

ثم انعقد حاجباه فى قوة ، وسَرت فى جسده ارتجافة باردة ، وهو يسحب مسدسه بحركة حادة ، مع ذلك الظل العجيب ، الذى ظهر فجأة أمام ذلك الوهج ..

وبتوتر بالغ ، تابع (نور) ببصره ذلك الظل ، وهو يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

ومع اقترابه ، كانت ملامحه تتضح أكثر ، وأكثر ، وأكثر ..

واتسعت عينا (نور) عن آخرهما ، وانتفض جسده كله فى عنف ، وهو يهتف بكل ذهول الدنيا :

ـ (سلوى) ..

كان القادم هو زوجته (سلوى) ، فى زى فرعونى قديم ، وزينة فرعونية ، وغطاء رأس يشبه ذلك الذى رآه فى المتحف المصرى ، وهى تحمل فى يدها تمثالاً لقط فرعونى أسود ..

وهزّ (نور) رأسه فى قوة ..

مستحيل أن يكون ما يراه حقيقة ..

إنه وهم ..

سراب ..

خداع ..

أو مجردُ حلم ..

مرة أخرى هزّ رأسه فى قوة ، فى محاولة لإيقاظ نفسه من ذلك الحلم البشع

بل من ذلك الكابوس ..

ولكنه لم يستيقظ ..

ولم يخرج من الكابوس قط ..

وبكل توتره وانفعاله ، غمغم :

ـ هذا ليس حقيقة .. ليس حقيقة أبدًا .

لم تنبس (سلوى) ببنت شفة ، ولم تعلّق على عبارته ، وبدت جامدة ، شاردة ، كما لو أنها مسلوبة الوعى والإرادة ..

وبكل كيانه ، أراد أن يندفع نحوها ..

أن يحتويها بين ذراعيه ..

أن يسألها عن ابنتهما ..

عن مصيرها ..

عما أصابها ..

إلا أنه لم يفعل ..

كانت كل ذرة فى كيانه تخشى أن يكون هذا مجرّد حلم ..

كابوس رهيب ، يسيطر على عقله كله ..

نعم .. إنه كابوس ..

كل شىء يوحى بهذا .

ويؤكده ..

كل شىء يحتّم أن مايحدث لايمكن أن يكون حقيقة ..

جراحه التى التأمت دون أثر ..

رصاصات مسدس (أكرم) ..

و (سلوى) ..

إنه كابوس حتمًا ..

ولكن حواسه كلها انتبهت فجأة ، عندما ظهر ذلك الظل المتموّج الآخر ..

وفى هذه المرة ، شعر (نور) بالقلق ..

بالخطر ..

شعر بهما ، حتى إنه رفع فوهة مسدسه الليزرى ، وصوّبه بكل تحفز نحو ذلك الظلّ الجديد ، وتوتره يتصاعد ..

ويتصاعد ..

ويتصاعد ..

وذلك الظلّ يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

ثم كانت المفاجأة الكبرى ..

والعنيفة ..

فذلك القادم الجديد كان هو ..

الكاهن ..

الكاهن المزدوج الرهيب ..

كان يتقدّم بثقة مستفزة ، وظفر واضح ، وعيناه الشيطانيتان تتألقان كحفرتين من الجحيم ..

وبكل غضب الدنيا ، وجد (نور) نفسه يهتف :

ـ إياك أن تمسّها ، وإلا ...

لم يدر بم يمكن أن يهدّد شيئًا مثله !!

أو كيف ؟!

ولقد كان الراهب يدرك هذا ..

يدركه جيدًا ..

لذا فقد تجاهل تهديد (نور) وواصل تقدُّمه ، حتى وقف إلى جوار (سلوى) تمامًا .. ومرة أخرى ، صرخ (نور) فى أعماقه ..

إنه كابوس ..

لا يمكن أن يكون حقيقة ..

مستحيل !

مستحيل !

أو على الأقل ، لايمكن أن تكون هذه هى (سلوى) ..

ليست تلك الجامدة ، الجافة ، فى تلك الثياب الفرعونية ..

وبكل قوته ، راح يستحث عقله على استيعاب الموقف ..

كل المشاهد ..

كل التفاصيل ..

وكل الأحاسيس ..

رباه ! لو أطاع عقله ، فهذا ليس حلمًا ..

أو حتى كابوسًا ..

إنه حقيقة ..

الأحلام لا تحوى كل هذه التفاصيل الدقيقة ..

العقل البشرى لا يمكن أن يواصل الحلم ، أو حتى الكابوس ، إذا ما أصرَّ صاحبه على المقاومة بهذه الاستماتة ..

وليس إذا ما أصرّ على أن ما يحيا فيه ليس حقيقة(*) ..

إذن فزوجته (سلوى) تحت سيطرة ذلك الكاهن بالفعل ..

تحت سيطرته التامة ..

(*) حقيقة علمية ..

« لا .. »

أطلق الصرخة ، وهو يصوّب مسدسه إلى ذلك الكاهن الرهيب ..

ثم يضغط الزناد ..

مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

ولكن الأشعة لم تنطلق ..

المسدس سليم ، وأجهزته كلها تعمل بكفاءة ..

ولكن الأشعة لم تنطلق نحو الكاهن ..

ولقد رآه (نور) يبتسم ابتسامة ظافرة ساخرة ، وكأنه كان يعلم مسبقًا أن هذا سيحدث ..

وفى بطء ، أدار عينيه إلى (سلوى) ..

وتألقت عيناه على نحو رهيب ..

لم تلتفت إليه (سلوى) ، ولكن كل شىء بدا وكأنها قد فهمت ما يطلبه ، فقد انحنت تضع تمثال القط الفرعونى أمامها ، فى حرص شديد ، قبل أن تعود إلى وقفتها الجامدة الأولى ..

وتوتر (نور) أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وفى بطء ، مدّ الكاهن يده أمامه ..

ثم فرد راحته بحركة حادة ..

وسرت فى جسد (نور) رعدة باردة كالثلج ..

فهناك ، فى راحة الكاهن ، كان يستقر ذلك الشىء البشع ..

إصبع الشيطان ..

ذلك الإصبع الطويل المبتور ، ذو المفصلات الثلاث ، واللون الأخضر الداكن ، والإظفر الأحمر فى لون الدم ..

ومال الكاهن بكفه إلى أسفل ، فوثب منه ذلك الإصبع ..

نعم .. وثب كما لو أنه كائن حى ، يعرف دوره جيدًا ..

وفى مشهد رهيب .. رهيب إلى أقصى حد .. زحف ذلك الإصبع فى سرعة ، فوق الأوراق الجافة ، حتى بلغ تمثال القط ..

ثم مسّه ..

فقط مسّه ..

وهنا ، تألّق تمثال القط الفرعونى ، وتعاظم حجمه ، حتى صار فى حجم نمر صغير ..

ثم انطلق منه مواء ..

نعم .. مواء .

مواء انتفض معه جسد (نور) ، واتسعت له عيناه عن آخرهما فى ذهول ، عندما دبّت الحركة بغتة فى


ومال الكاهن بكفه إلى أسفل ، فوثب منه ذلك الإصبع ..

التمثال ، وتحولّ إلى قط ضخم للغاية ، أطلق مواءً آخر شرسًا ، وهو يرمقه بنظرات وحشية ، ويتجه نحوه مباشرة ، بذلك الحذر الشهير ، لأى قط يتأهب للانقضاض على فريسته ..

وفى توتر بالغ ، وعلى الرغم من ثقته بأن مسدسه لن يطلق شيئًا ، صوّبه (نور) نحو القط الضخم ..

وفى عينى ذلك الكاهن الرهيب ، لمح نظرة ساخرة شامتة ، جعلته يستعير أسلوب (أكرم) ، صارخًا :

ـ أيها الوغد .

وما إن انطلقت صرخته ، حتى وثب القط الضخم ..

وكان (نور) على حق ..

مسدسه لم يطلق شيئًا ، عندما ضغط زناده على نحو غريزى ..

وبكف قوية ، لطم القط الضخم المسدس ، فأطاح به بعيدًا ، وهو ينقضّ على (نور) ، ويمزّق كم سترته بمخالبه ، ثم يدفعه بكل ثقله ، ليسقطه أرضًا ..

ورفع (نور) كفيه ليدافع عن نفسه ، وهو يغلق عينيه فى قوة ..

ولكن القط الضخم كشّر عن أنيابه ، وانقضّ بهما على عنقه ، و ..

« (نور) .. (نور) .. ماذا هناك ؟! »

انتفض جسده بغتةً مع النداء ، الذى يحمل صوت (أكرم) ، ففتح عينيه دفعةً واحدة ، وحدّق فى وجه هذا الأخير الذى هتف به فى انزعاج :

ـ ماذا أصابك ؟! كابوس بشع أم ماذا ؟!

حدّق فيه (نور) بضع لحظات أخرى ، ثم هبّ جالسًا بحركة حادة ..

إذن فقد كان كل هذا مجرّد كابوس ..

مستحيل !

قبل أن تتواصل الفكرة فى رأسه ، اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدّق فيما حوله بذهول ..

إنه يرقد بالفعل فى تلك الساحة ، التى تحيط بها النباتات العملاقة ..

والوهج المتراقص يبدو من بعيد ..

ومسدسه ملقى بعيدًا ..

جرح جبهته ملتئم ..

وذراع سترته ممزّق ، بفعل مخالب حادة ..

وبكل ذعره ، هتف به (أكرم) :

ـ ماذا أصابك ؟!

عاد (نور) يحدّق فيه لحظة ، وكأنما يراه لأوّل مرة فى حياته ، قبل أن يهتف به فى انفعال :

ـ مسدسك .. مسدسك يا (أكرم) .

التقط (أكرم) مسدسه بحركة آلية ، وهو يسأله فى حيرة :

ـ ماذا به ؟!

أجابه فى سرعة وتوتر :

ـ خزانته امتلأت بالرصاصات .

قال (أكرم) بدهشة بالغة ، وهو ينتزع خزانة المسدس :

ـ وكيف يمكن هذا ؟! لقد أطلقنا على تلك الأشجار الحية آخر رصاصاته ، و ...

بتر عبارته ليطلق شهقة قوية ، قبل أن يستطرد فى انزعاج :

ـ رباه ! هذا صحيح يا (نور) .. ولكن كيف ؟! كيف ؟!

ثم حدّق فى وجهه ، مضيفًا فى ذهول :

ـ كيف عرفت ؟!

تطلّع (نور) مرة أخرى لما حوله ، قبل أن ينهض ، مجيبًا فى عصبية :

ـ الكابوس .. الكابوس يا صديقى ..

هتف (أكرم) بكل دهشته وتوتره :

ـ أى كابوس ؟!

هزّ (نور) رأسه ، وهو يجيب :

ـ الكابوس الذى تعجز معه عن تفسير أى شىء ، أو حتى عن الجزم بما إذا كان وهمًا أم .. أم حقيقة ..

وعاد يتلفّت حوله بمنتهى الحذر والقلق والتوتر ، مضيفًا :

ـ حقيقة شيطانية ..

ولم ينبس (أكرم) ببنت شفة ، وهو يدور بعينيه فيما حوله أيضًا ، وقد تملّكه شعور مخيف ..

شعور بأن كل ما يحدث يعنى أنهم ، ومنذ أن سقطت بهم الطوّافة فى هذه الأحراش ، فى قبضة خصم لا يرحم ..

فى قبضة ذلك الكاهن الرهيب ..

قبضة الشيطان ..

شخصيًا ..

* * *

كلهم كانوا هناك ..

الدكتور (رمسيس) ..

والدكتور (عبادة) ..

وذلك المقاتل ..

كلهم كانوا داخل معبد فرعونى قديم ..

معبد يجمع بين النقوش الهيروغليفية ، ورموز سحر (الفودو) ..

ولكن ليس هذا ما أذهله ..

فما أذهله بحق ، هو أنهم كانوا هناك سالمين معافين ..

دون كسور ..

أو جروح ..

أو حتى خدوش ..

ولكن الأكثر ذهولاً هو أنهم هم الذين يقيدونه ..

هم الذين انتزعوه من ذلك المكان المظلم الرطب ، وحملوه عبر الممر الطويل ، حتى أحضروه إلى هنا ..

إلى ذلك المعبد ..

ليس هذا فحسب ، ولكنهم كانوا جميعًا يرتدون أزياء فرعونية ، كما لو كانوا جزءًا من هذا المعبد القديم ..

وبكل ذهوله ، هتف بهم :

ـ دكتور (رمسيس) .. دكتور (عبادة) .. أيها المقاتل .. ماذا أصابكم ؟!

لم ينبس أحدهم ببنت شفة ..

بل ولم يبد حتى أنه قد سمعه ..

كانوا كالمخدرين ..

أو كالمنوّمين ..

عيونهم شاردة ..

عقولهم مغلقة ..

نظراتهم جامدة ..

وأصابعهم قوية ، صلبة كالفولاذ ، تقبض على معصميه ككلابات من الصلب ، لا فكاك منها قط ..

وبتلك القوة الهائلة ، والآلية المدهشة ، قادوه إلى مذبح كبير ، فى منتصف المعبد ..

ومع مرأى الدماء الطازجة ، التى تلوّث المذبح ، هتف (رمزى) :

ـ ماذا تفعلون بى ؟! ماذا يسيطر على عقولكم ؟!

تجاهلوه تمامًا ، وهم يدفعونه نحو المذبح ، فصرخ فى توتر :

ـ لا ... ليس أنا .

قاوم فى استماتة ، وراح يضرب بقدميه فى قوة ، ولكن ذلك المقاتل أمسك قدميه بمنتهى القوة ، فى حين حمله الخبيران ، ليضعه الثلاثة على المذبح ، ويثبتونه فى عنف ..

وعلى الرغم من محاولاته العنيفة ، لم يستطع (رمزى) التملّص من أيديهم القوية قط ، فهتف :

ـ قاوموا يا رجال .. قاوموا .. إنه يسيطر على عقولكم .. ذلك الظلام الدامس الرطب ، الذى تركنا فيه ، ساعده على السيطرة على عقولنا .. الرعب والفزع يضعفان النفس البشرية .. هذا ما يطلقون عليه اسم الحرب النفسية .. لا تجعلوه ينتصر .. قاوموا .. قاوموا ..

لم تبد على وجوههم الشاردة الجامدة لمحة واحدة ، توحى بأن أحدهم قد فهم حرفًا واحدًا مما قاله ..

وفى يأس ، هتف :

ـ لن يمكنه أن ينتصر ، لو أن عقولكم قاومته .. لن يمكنه أبدًا .

انهارت مقاومته ، من فرط الإرهاق والانفعال ، فلهث فى شدة ، وهو يستسلم لهم ، ويترك جسده يسترخى على ذلك المذبح ، ودماؤه تتجاوز ضماداته ، وتسيل لتمتزج بتلك الدماء الطازجة عليه ..

وهنا ، انشقّ الجدار المواجه له ..

ومن خلف المقاتل ، الذى يثبت قدميه ، رأى (رمزى) ذلك الكاهن يعبر الجدار ، ثم يقف أمامه فى صمت ، وعيناه تتألقان بذلك البريق الشيطانى الرهيب ..

ولثوان ، لم يتحرّك الكاهن ، حتى التأم الجدار من خلفه ، ثم اتجه فى بطء نحو المذبح ، وهو يحمل صندوقًا زجاجيًا بدائيًا قديمًا ..

وانعقد حاجبا (رمزى) فى شدة وتوتر ، عندما لمح ذلك الشىء ، الذى يستقرّ فى قاع الصندوق ..

الإصبع ..

إصبع الشيطان ..

وبنفس البطء المخيف ، واصل الكاهن مسيرته نحوه ، حتى أصبح إلى جواره تمامًا ، وعلى مسافة سنتيمترات قليلة منه ..

وارتجفت كل خلية فى جسد (رمزى) خوفًا ورعبًا ..

فلأوّل مرة ، يجد نفسه على هذا القرب ، من ذلك الكاهن الرهيب ..

ولأوّل مرة يشم تلك الرائحة الشبيهة برائحة القبور القديمة ، ويشعر بذلك الهواء البارد كالثلج ، الذى ينبعث منه ..

وفى بطء رهيب ، أمال الكاهن ذلك الصندوق الزجاجى ، وترك إصبع الشيطان ينزلق منه ، ليستقر على بطن (رمزى) ..

وانتفض جسد (رمزى) فى عنف ..

فذلك الإصبع كان باردًا ..

بل كان أشبه بقطعة من الثلج ، أتت من القطب الجنوبى مباشرة ..

ثم إنه كان يتحرك ..

هذا ما جعل (رمزى) يهتف ، بمزيج من الرعب والاشمئزاز :

ـ مستحيل !

وكدودة عظمية باردة ، راح ذلك الإصبع يزحف على جسده ، مخلفًا فيه شعورًا رهيبًا ، لايمكنك أن تصفه ، حتى ولو كنت تشعر به ، والقلم بين يديك ..

ودون أن يدرى كيف ، وجد (رمزى) ضمادات ذراعه فى يد الكاهن ، الذى تألقت عيناه ، كما لم تتألق من قبل ، فى حين مال إصبع الشيطان فى زحفه ، حتى بلغ موضع الجرح ..

وفجأة ، بلغ الألم مبلغه ..

وصرخ (رمزى) ..

صرخ مرة ..

ومرة ..

ومرات ..

ومع كل صرخة ، كانت الدماء تتدفق من جرحه أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

حتى كاد يفقد الوعى ..

ولكن فجأة ، تلاشى الألم ..

كل الألم ..

وراح العرق الغزير يتصبب على جسد (رمزى) ووجهه ، فى حين عاد الإصبع يزحف ، حتى عاد إلى الصندوق الزجاجى ، الذى ناوله الكاهن للمقاتل ، فالتقطه فى حرص واحترام شديدين ، وغاب به عن بصر (رمزى) ..

فى تلك اللحظة فقط ، انتبه (رمزى) إلى أن أحدًا لم يعد يكبّل حركته ..

الدكتور (رمسيس) والدكتور (عبادة) ابتعدا عن

المذبح ، ووقفا ساكنين صامتين ، كتمثالين من الحجر ، إلى جوار أحد جدران المعبد ..

وخلال لحظات ، لحق بهما المقاتل ..

وانضمّ إليهما ..

وحاول (رمزى) أن ينتهز الفرصة ..

وأن ينهض ..

ولكنه أبدًا لم يستطع ..

شىء ما فى كيانه أو فى نظرة ذلك الكاهن الرهيب ، جعله مسمرًا فى مكانه ، غير قادر على الحركة ..

وفى إرهاق رهيب ، تمتم :

ـ ماذا ستفعل بى ؟!

رفع الكاهن يده فوق صدره ، وأصابعه تمسك دمية عجيبة ..

دمية هى صورة طبق الأصل منه ..

صورة حية ..

فأمام عينيه الذاهلتين ، بدا له وكأن نسخة صغيرة منه تتلوّى ، وتقاوم فى استماتة ، بين أصابع ذلك الكاهن الرهيب ..

وحدّق (رمزى) فى تلك الدمية بذهول ..

حدّق فيها ، وفى حركاتها العنيفة المستميتة ، وفى نظرة اليأس الرهيبة ، المطلّة من عينيها ..

كان يرى نفسه ، بين أصابع الشيطان ..

فى قبضته ..

وتحت سيطرته ..

وبكل رعبه ، هتف :

ـ إنك لن تقتلنى .. لن تجرؤ أن تفعل .

تألّقت عينا الكاهن أكثر وأكثر ، وبدتا وكأنّهما تشتعلان ..

وتشتعلان ..

وتشتعلان ..

ومع اتساعهما ، خيّل لـ (رمزى) أن روحه تنتزع من صدره ، وتهوى فى أعماق العينين الواسعتين المخيفتين ..

وتهوى ..

وتهوى ..

بلا نهاية ..

ولكن مهلاً ..

إنه يعرف ما يحدث جيدًا ..

يعرفه بحكم دراسته ..

وخبرته ..

« إنك تحاول تنويمى مغنطيسيًا .. أليس كذلك ؟! »

لم ينبس الكاهن ببنت شفة ..

ول تتوقف عيناه عن الاتساع ..

ولم يتوقّف جسد (رمزى) عن السقوط فيهما لحظة واحدة ..

وفى قوة ، راح يلهث ..

ويلهث ..

ويلهث ..

وأنفاسه راحت تتلاحق ، وتتسارع ، وهو يهتف بألم وانهيار :

ـ لا يمكنك أن تنوّمنى على الرغم منى ..

ولكن أنفاسه تلاحقت وتسارعت أكثر وأكثر ، وراح يلهث فى قوة ، كما لو أنه يلفظ أنفاسه الأخيرة ..

واتسعت عيناه فى ألم وذعر هائلين ..

وفى بطء ، مدّ الكاهن يده إلى رأس تلك الدمية ، التى ما زالت تقاوم فى استماتة ..

وعندما أمسك الرأس ، شعر (رمزى) بضغط هائل على جانبى رأسه ، فصرخ :

ـ ماذا ستفعل بى ؟! ماذا ستفعل ؟!

وبحركة مباغتة قوية ، انتزع الكاهن رأس الدمية ..

وأطلق (رمزى) صرخة ألم هائلة ..

وهوى كيانه كله وسط ظلام رهيب ..

رهيب ..

وبلا قرار .

* * *



٨ ـ القفـزة ..

على عكس المألوف ، فى المخابرات العلمية المصرية ، اندفع الدكتور (جلال) إلى حجرة القائد الأعلى ، هاتفًا :

ـ سيّدى .. لابد أن تشاهد هذا بنفسك .

هبَّ القائد الأعلى من خلف مكتبه ، هاتفًا فى حدة :

ـ كيف تجاوزت إجراءات الأمن ؟!

بُهِتَ الدكتور (جلال) للعبارة ، وغمغم فى عصبية :

ـ أى قول هذا ؟!

أجابه القائد الأعلى فى صرامة :

ـ القول الحق يا دكتور (جلال) ، فالغرض من نظم وإجراءات الأمن هذه هو حماية المكان من الدخلاء والمتسللين ، وتجاوزك إياها بهذه البساطة ، يعنى وجود قصور شديد فيها .

قال الدكتور (جلال) فى عصبية :

ـ سيادة القائد الأعلى .. لاتنس أننا نحن الذين صنعنا نظم الأمن هنا ، ومن الطبيعى أن نملك شفرة خاصة لتحييدها ، إذا ما اقتضى الأمر هذا .

سأله القائد الأعلى فى غضب :

ـ وما الذى يقتضيه الأمر الآن ؟!

هتف الدكتور (جلال) فى حنق :

ـ توفير الوقت ، الذى نضيعه بهذا الاستجواب .

ثم اندفع يضغط أزرار شاشة الرصد ، مستطردًا فى عصبية :

ـ فالأوفق أن تشاهد مايحدث ، على الهواء مباشرة .

سأله القائد الأعلى فى توتر :

ـ وما الذى يحدث ؟!

اشتعلت الشاشة ، وبدت عليها تلك الأحراش ، من

زاوية تسمح بتصويرها ، دون الدخول فى مجال انعدام الرصد الخاص بها ..

كانت تتألق بضوء أحمر نابض ، يرتفع رويدًا .. وينخفض رويدًا ..

وفى حيرة قلقة ، تساءل القائد الأعلى :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

أجابه الدكتور (جلال) فى انفعال :

ـ تلك الأحراش تبعث ذلك الإشعاع النابض المنتظم ، منذ بضع دقائق .. الصورة التى تراها ملتقطة بالأشعة دون الحمراء .. والخبراء يفحصون الموقف طوال الوقت ..

سأله القائد الأعلى فى توتر بالغ :

ـ المهم ما الذى يعنيه ؟!

لوّح الدكتور (جلال) بيده ، وهو يقول بنفس الانفعال :

- فى عالم النبات ، لايوجد أى تفسير لهذا ؛ فهو لايحدث أبدًا ، بل ولايوجد شبيه أو مثيل ، أو حتى ما يقارب له ، فى ذلك العالم كله ، وهذا ما جزم به كل علماء النبات لدينا .. لذا فقد بدأنا فى الاستعانة بالكمبيوتر ، للبحث عن أية ظاهرة مشابهة ، فى الطبيعة كلها .

راقب القائد الأعلى ذلك الانبعاث بضع لحظات ، قبل أن يقول فى توتر حذر ، وهو يزن كل حرف ينطق به :

- هذا يبدو لى أشبه بنبضات القلب .

هزّ الدكتور (جلال) رأسه نفيًا ، وقال :

- هذا ما تصوّرناه فى إحدى المراحل ، وما عرضناه على الكمبيوتر ، ولكنه رفض التطابق .

ثم تألقت عيناه ، وهو يضيف :

- وهنا قفزت الفكرة إلى رأس أحد علماء وظائف الأعضاء البشرية لدينا ، فطلب من الكمبيوتر أن يقارن

بين هذا الانبعاث الحرارى ، وبين مثيلاته ، فى عمليات الجسم الحيوية .

سأله القائد الأعلى :

- وهل حدث تطابق ما ؟!

أومأ الدكتور (جلال) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

- تطابق تام .

سأله القائد الأعلى فى لهفة :

- مع أية عملية ؟!

التقط الدكتور (جلال) نفسًا عميقًا ، وبدا صوته أشبه بموجة هائلة من الانفعال ، وهو يجيب :

- الهضم .

اتسعت عينا القائد الأعلى عن آخرهما ، ومال رأسه إلى الأمام فى ذهول ، وهو يهتف مستنكرًا :

- الهضم ؟!

أجاب الدكتور (جلال) ، فى سرعة وانفعال :

- نعم ياسيادة القائد الأعلى.. الهضم.. تلك الأحراش بدأت، منذ مايقرب من سبع عشرة دقيقة، عملية هضم منتظمة.

هتف القائد الأعلى:

- هضم ماذا ؟!

أجابه الدكتور (جلال) فى توتر:

- ياله من سؤال ؟!

ثم مال نحوه، مستطردًا:

- بعثتنا بالطبع.

وانتفض جسد القائد الأعلى بعنف..

بمنتهى العنف..

* * *

لم تكد هليكوبتر وزير الخارجية الإفريقى تهبط، فى المطار الخاص بمجلس الوزراء، حتى اندفع وزير الداخلية يستقبله فى لهفة، متسائلاً:

- ما الأخبار ؟!

أشار وزير الخارجية بيده، وهو يجيب فى توتر شديد:

- لا شىء.

سأله وزير الداخلية فى عصبية:

- ماذا تعنى بلا شىء ؟! ألم تلتق به ؟!

هتف وزير الخارجية فى حدة:

- لم يأت.

حدّق وزير الداخلية فى وجهه، قبل أن يقول فى عصبية:

- كيف لم يأت ؟! ألا تذهب أنت إليه ؟!

قال وزير الخارجية فى حدة:

- من الواضح أنك لاتستوعب الأمر جيدًا يارجل.. ذلك الكاهن لا يلتقى بأى مخلوق، إلا إذا أراد هو هذا.

هتف وزير الداخلية محنقًا:

- إنه ليس إلهًا.

قال وزير الخارجية فى حدة :

ـ حاول أن تقنعه هو بهذا .

احتقن وجه وزير الداخلية فى شدة ، وهو يقول :

ـ ولكن مقابلته أمر حتمى .. الأمور تتطورّ على نحو لن يمكننا احتماله أو استيعابه ، ولو لم يحسمها بسرعة ، سينهار كل شىء تمامًا .

هزّ وزير الخارجية رأسه فى توتر بالغ ، وهو يقول فى مرارة :

ـ لقد حاولت .

صاح وزير الداخلية فى غضب :

ـ كان ينبغى أن تحاول أكثر .

صرخ وزير الخارجية بانفعال يفوق كل الحدود :

ـ مستحيل !

ثم بدا منهارًا ، وهو يضيف فى مرارة :

ـ الاقتراب .. مجردّ الاقتراب من تلك الأحراش يبدو مستحيلاً اليوم .. الهليكوبتر كانت تهوى بنا ثلاث مرات ، حتى رفض الطيّار الاستمرار ، مهما كانت النتائج .

امتقع وجه وزير الداخلية ، وهو يقول فى شحوب :

ـ إلى هذا الحد ؟!

أجابه وزير الخارجية ، فى شحوب أكثر :

ـ وأكثر من هذا يا رجل ..

وشرد بصره ، مع شحوب وجهه الشديد ، وهو يضيف :

ـ هناك أمور رهيبة تحدث فى تلك الأحراش ، منذ سقوط طوّافة البعثة المصرية الثانية فيها .. أمور لم تحدث من قبل قط ، حتى فى أعمق عصور أجدادنا .. أمور رهيبة ، تجعلنى أجزم بأن الساعات القادمة ستحمل لنا ما لم نعهده ، أو حتى نتعذّب به ، فى أبشع وأشنع كوابيسنا .

وامتقع وجه وزير الداخلية أكثر وأكثر ..

فقد كان هذا بالضبط ما يشعر به فى أعماقه ..

وما يخشاه ويرتجف منه بعنف ..

حتى النخاع ..

* * *

« أين نحن بالضبط يا (نور) ؟! »

نطق (أكرم) العبارة فى توتر بالغ ، وهو يتلفَّت حوله ، فانحنى (نور) يلتقط مسدسه الليزرى ، و[illegible] فى غمده ، قائلا :

ـ حيث أرادنا ذلك الكاهن بالضبط .

هتف (أكرم) فى عصبية :

ـ أين ؟!

أدار (نور) عينيه فيما حوله ، وفحص كل ما يحيط به فى صمت ، قبل أن يشير إلى ذلك الطريق الطويل ، الذى يأتى منه الوهج المتراقص ، مجيبًا :

ـ حيث لن نجد أمامنا سبيلاً سوى هذا .

تطلَّع (أكرم) إلى الوهج المتراقص ، وهو يتساءل فى توتر :

ـ وهل سنذهب عبر ذلك الطريق ؟!

هزَّ (نور) كتفيه ، قائلاً :

ـ ألديك سبيل آخر ؟!

هتف (أكرم) فى حنق :

ـ هذا ما يريدنا أن نسلكه بالضبط !

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ ولن نجد سبيلاً سواه .

ثم أمسك كتفى (أكرم) فى قوة ، وتطلَّع إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول فى حزم :

ـ اسمعنى جيدًا يا صديقى .. إنه يعبث بنا طوال الوقت ، منذ وصلنا إلى هنا .. بل ومن قبل حتى أن ننطلق من (القاهرة) .. ونحن هنا فى منطقة نفوذه ،

ومهد قوته ، ومملكة قدراته الشيطانية الرهيبة .. ولقد علمنا أنه من المحتّم أن نتخذ الطريق الذى يريده ، وإلا فستهاجمنا كل قوى الشر بلا رحمة .. ثم إنه لا يرغب فعليًا فى القضاء علينا .

هتف (أكرم) مستنكرًا :

ـ بعد كل هذا ؟!

أجابه (نور) ، فى سرعة وحزم :

ـ كل هذا هو الدليل على صحة ما أقول .. لقد واجهنا الأهوال ، وكانت أمامه الفرصة لقتلنا فى كل مرة ، ولكنه لم يفعل .. بل إنه يعيد الرصاصات إلى خزانة مسدسك ، كما لو أنه يعلن لامبالاته بكل أسلحتنا .

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ ربما ينتظر الوقت المناسب .



وتطلّع إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول فى حزم :
ـ اسمعنى جيدًا يا صديقى !! ..

انعقد حاجبا (نور) ، وتراجع متخليًا عن كتفى (أكرم) ، وهو يتمتم :

ـ هذا مؤكَّد .

هتف به (أكرم) فى لهفة :

ـ هل تعتقد أن هذا ينطبق على رفاقنا أيضًا .. على زوجتى .. وزوجتك ، وابنتك ؟!

بدا التوتر على وجه (نور) ، وفى نبرات صوته ، وهو يجيب :

ـ لست أدرى يا (أكرم) .. صدقنى .. لست أدرى .

ثم أشار إلى الطريق ، الذى يبدو الوهج المتراقص فى نهايته ، مستطردًا :

ـ ولكن المؤكَّد أننا لن نجدهم ، إلا لو اتخذنا هذا الطريق .

تطلَّع إليه (أكرم) فى صمت ، قبل أن يسأله فى حزم :

ـ أيًا كان ما سنجده فى نهايته ؟!

أجابه (نور) ، فى سرعة وحزم :

ـ أيًا كان .

غلفهما الصمت لحظات ، قبل أن يقول (أكرم) فى حزم ، وهو يدس مسدسه فى غمده :

ـ على بركة اللّٰه .

تطلَّعا إلى بعضهما لوهلة ، ثم اتجها معًا نحو الطريق الوحيد أمامهما ، وفى رأس كل منهما تدور أفكار صامتة خاصة ..

(أكرم) راح يفكِّر فى زوجته (مشيرة) ..

زوجته التى بذلت قصارى جهدها ، وقاتلت بكل طاقاتها ، حتى تنضمَّ إلى تلك البعثة ..

وتواجه مصيرها المحتوم ..

إنه لا يدرى أين هى الآن ؟!

كيف هى ؟!

وأى مصير تواجه ؟!

أى مصير ؟!

عضّ شفتيه فى مـرارة ، وقـاوم دمعـة قـاتلت لتنهمر مـن عينيه ، وهو يطلق من أعمق أعماق صدره زفرة ملتهبة يائسة ..

ففى جزء من نفسه ، شعر أنهم المخطئون ..

ذلك الكاهن هنا ، فى مملكته الخاصـة ، منذ آلاف السنين ..

ولم يسمع به أحد ..

فقط المناطق المحلية ، والمحيطة به فحسب ..

حتى ولو كان الشر كله ، فشره هذا لم يمتدّ خارج حدوده قط ..

إلى أن جاءوا هم إليه ..

البعثة الأولى اخترقت أسواره ، ودسّت أنفها فى شئونه ..

وسرقت ممتلكاته ..

وهنا .. هنا فقط خرج ..

خرج ليثأر ..

وينتقم ..

ويسترد ماله ..

صحيح أنه قتل ..

وبلا رحمة ..

ولكنه لم يقتل سوى من أساءوا إليه ..

من قتلوا شعبه ..

ونهبوا مقتنياته ..

لا أحد يدرى من أين جاء ..

ولا كيف حصل على ما لديه ..

ولكن هذا ليس جريمة ..

ربما كان هناك آلاف مثله ، لا يشعر بهم أحد ..

ربما ..

وحتى فى هذه المرة ، لم يسع هو إليهم ..

هم سعوا إليه ..

ومن حقه أن يصدهم ..

ويمنعهم ..

ويبعدهم ..

حتى لو اضطر لقتلهم ..

« ليس إلى هذا الحد .. »

نطق (نور) بالعبارة ، فانتفض جسد (أكرم) فى عنف ، وهتف :

ـ ماذا تقول يا (نور) ؟!

أجابه (نور) ، وهو يسير إلى جواره ، عبر ممر النباتات :

ـ أقول : إن الأمر لا يصل إلى حد القتل .

توقّف (أكرم) دفعة واحدة ، وهتف فى ذهول :

ـ ولكن لماذا تقول هذا ؟!

أشار إليه (نور) ، قائلاً :

ـ أنت تتصوّر أن ذلك الكاهن يدافع عن وجوده فحسب ، وأن هذا حقه ، حتى لو اضطر لقتلنا ، وكنت أجيبك بأنه لا ينبغى أن تصل الأمور إلى هذا الحد ، و ...

صاح (أكرم) فى ذهول :

ـ ولكننى لم أقل هذا أبدًا يا (نور) .. لقد دار فى ذهنى فحسب ، ولم ينطقه لسانى قط .

التفت إليه (نور) بحركة حادة ، هاتفًا :

ـ مستحيل !

صاح (أكرم) :

ـ هذا ما يحدث بالفعل يا (نور) .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

ـ ولكن هذا مستحيل ! لقد سمعت كل هذا فى وضوح .. سمعتك تتحدث عن (مشيرة) ، وسعيها للانضمام إلى البعثة ، وعن الكاهن ، ووجوده منذ آلاف السنين دون خطر ، ثم اقتحام البعثة الأولى لمملكته ، و ...

انتفض (أكرم) كالمصعوق ، وهو يهتف :

ـ مستحيل ! مستحيل ! لقد قرأت أفكارى يا (نور) .. قرأتها كما لو أنك تسمعها فى وضوح .

حدَّق (نور) فى وجهه لحظة ، قبل أن يقول فى توتر شديد :

ـ لقد فعل بنا شيئًا ما يا (أكرم) ..

ثم تلفَّت حوله ، مستطردًا فى توتر شديد :

ـ أو هو هذا المكان .

واستدارت عيناه نحو البقعة ، التى يأتى منها الوهج قويًا ، مصحوبًا بقرقعة نيران ، وهو يضيف فى عصبية :

ـ وهذا هو الأرجح .

حدَّق فيه (أكرم) لحظة ، قبل أن تستدير عيناه بدوره إلى البقعة ذاتها ، ليتطلَّع إليها طويلاً فى صمت ، ثم يسأل فى توتر :

ـ ترى ما هذا بالضبط يا (نور) ؟!

أجابه فى سرعة ، وكأنما كان ينتظر السؤال :

ـ شلال النار .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يكرر فى انبهار :

ـ شلال النار ؟!

أشار إليه (نور) بيده ، قائلاً :

ـ هيا .. لقد صرنا على قيد أمتار قليلة منه .. دعنا نره لأول مرة وجهًا لوجه .

سار (أكرم) إلى جواره فى صمت ، وقلبه يخفق فى قوة ، من فرط الانفعال ، والوهج يتزايد أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ثم فجأة ، وعند منعطف حاد ، وجداه أمامهما مباشرة ..

شلال النار ..

نيران تنهمر من أعلى إلى أسفل ، على عكس ما تحتم قوانين الطبيعة ، بقرقعة عالية ، ووهج مخيف ، رهيب ..

جدار من نيران مهيبة ، تنهمر كالشلال ، لتغوص فى أخدود عميق وحرارتها تلفح الوجوه ، كما لو كانت قطعة من الجحيم ..

وفى انبهار شديد ، هتف (أكرم) :

ـ أهذا هو ؟!

أجابه (نور) فى توتر حازم :

ـ نعم .. هذا هو ؟!

وقفا يتطلّعان إلى ذلك الشلال النارى الرهيب لدقائق كاملة ، سيطر عليهما خلالها مزيج من الصمت والرهبة

والخوف ، وكلاهما يتساءل فى أعماقه : كيف عبرت البعثة السابقة جدارًا كهذا ..

وبكل الدهشة والتوتر ، هتف (أكرم) :

ـ أهو خط النهاية يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى حزم ، لا يخلو من الرهبة :

ـ كلاّ .. المعبد هناك .. خلف شلال النار .. هذا ما أكده الجميع .

هتف (أكرم) :

ـ ولكن كيف ؟! كيف يمكن عبور شىء كهذا ؟ إننا لاندرى حتى من أين ينهمر ، ولا إلى أين يمتدّ !!

غمغم (نور) ، وهو يفكر فى عمق :

ـ هناك حتمًا وسيلة ما .. منفذ ما ..

هتف (أكرم) مرة أخرى :

ـ ولكن كيف ؟! كيف ؟!

فجأة ، قفزت فكرة ما إلى ذهن (نور) ..

فكرة مجنونة ..

وإلى أقصى حد ..

وانعقد حاجباه بشدة ، وهو يدرسها بعقله ..

وذهنه ..

وخياله ..

ترى كيف يمكن أن تثب إلى ذهنه فكرة عجيبة مجنونة كهذه ، تتجاوز كل قواعد العقل والمنطق ؟!

إلا إذا ؟!

كان التفسير عجيبًا للغاية ، ولكنه صادف هوى فى نفسه ، على الرغم من غرابته وعدم منطقيته ، و ...

« سأذهب .. »

نطقها (نور) فى حزم وصرامة ، ثم اندفع فجأة ، قبل أن يدرك (أكرم) ما يحدث ، و ...

وقفز ..

قفز نحو شلال النار ..

وبكل قوته ..

وأمام عينى (أكرم) الذاهلتين المذعورتين ، اخترق جسد (نور) شلال النار ، وغاص وسط ألسنة اللهب ، فصرخ :

ـ ماذا تفعل يا (نـور) ؟! يا إلهى ! هل جننت ؟! (نور) .. (نور) ..

ولكنه ، وبخلاف تصاعد قرقعة النيران ، كما لو أنها تسعد بالتهام ضحية جديدة ، لم يسمع جوابًا ..

أى جواب ..

على الإطلاق .

* * *

[انتهى الجزء الثانى بحمد الله
ويليه الجزء الثالث بإذن الله]